

حَوْلَ الثُّورَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
وَالثَّقَافَةِ وَالْفَنِّ

في مقال لكم ترجمةً : « إن البعث قد استمد وجوده بالأصل من موقف تاريخي منسجم مع حاجات النهضة العربية ، ومع حركة الواقع العربي وآفاق تطوره » . وقد حدد الحزب منهاجـه في الحياة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية العربية . \*

وهذا واضح عند الجميع ، لكن ما أريد أن أتبينه هنا هو : الثقافة في مفهوم البعث . فهو قد نشأ في حقبة تاريخية كانت تسود فيها أنماط ثقافية يرفضها المنطق الأيديولوجي للبعث .

#### ★ د . الياس :

عندما نشأ البعث كانت هناك نماذج ثقافية متعددة ، كانت هناك الثقافة البرجوازية المشبعة بالافكار الاصلاحية ذات الطابع الليبرالي الغربي . والثقافة الدينية ، والرجعية . وهناك أيضا الثقافة التقدمية والاشتراكية التي تنطلق اما من منطلقات لا قومية ،

---

(\*) مقابلة نشرت في العدد الاول من مجلة (افق عربية) . وفي عدد مجلة (قضايا عربية) .

ذات طوابع اقليمية مستوعبة من التجزئة ، او من الاممية ، بمعنى  
الاطافر فوق المشكّلة القومية ، وغير المستوعب لها ..

هذه الثقافات المتعددة لم تكن نابعة من استيعاب للنهضة  
العربية اي للمرحلة القومية ، ول حاجات هذه المرحلة . بل كانت  
تعامل مع الواقع العربي من خلال التكيف مع  
(بعض) معطياته ، ومن خلال « رد الفعل » على بعض المعطيات  
الاخري ، لذلك نلاحظ ان الثقافة بمنظور البعث نابعة من ادراك  
شمولي كلي ل حاجات النهضة ، وبالتالي فهي مستوعبة لآفاقها ،  
ووصلة هذه النهضة بالحياة العربية وتطور المجتمع العربي عبر  
التاريخ . ومن هنا ، كانت الثقافة في منظور البعث تعني موقعا ،  
فكريا وعمليا ، من حاجات الابعاد القومي .

بهذا المعنى نستطيع القول : بأن الثقافة في البعث هي مميز  
اساسي من مميزات وجوده ، وهي ذات اهمية كبرى . باعتبارها  
دليل للجماهير العربية . ولأنها تعميق للاهداف القومية ،  
وهي ، في الوقت نفسه ، عامل مساعد على فهم الصلة الحية التي  
تصل العرب في هذا العصر مع العالم ككل . ومع مستقبل العالم  
ككل . ومن هنا جاء تعريف القومية ، بالنسبة للبعث ، بأنها : هذا  
المستوى من النضج الذي بلغته التجارب الإنسانية ، والتي تلعب  
الثقافة فيها الدور الاول .

٦٧٨

فرابطة الثقافة هي أعلى الروابط ، واعمقها . لان العصر  
الذي نعيش فيه هو عصر الثقافات . وعصر الايديولوجيات .  
فإذا أردنا ، اذن ، ان نحدد تحديدا طبيعا المقصود بهذا النوع  
من الثقافة ، فهي ثقافة جماهيرية عامة شعبية بروليتارية أيضا .  
الا انها « ثقافة بروليتارية عربية » ، هي ثقافة الانسان العربي  
المؤمن بالقومية العربية كجماهير كادحة ، ثائرة ، تناضل من اجل  
وحدتها ، ومن اجل تحررها ، ومن اجل تحقيق النظام الاشتراكي .  
فميزة « ثقافة البعث » هي انها ليست ثقافة نظرية مضافة الى  
الواقع العربي ، تتفاعل معه تفاعلا سطحيا ، تفاعل ملامسة خارجية .  
بل هي نتيجة معاناة فكرية وعملية . لذلك نلاحظ ان المناضل من  
الطبقة العاملة ، بهذا المعنى ، قد يكون اعلى ثقافة من حامل  
الدكتوراه الذي تقتصر ثقافته على فهم وحفظ النظريات والتخاريف  
الثقافية في العالم ، والذي يجيد مناقشتها دون ان يكتشف الصلة  
بينها وبين الواقع العربي .

الثقافة بمنظور البعث هي : ابداع . انها اكتشاف لهذه  
الصلة بين الانسان العربي وامته في هذه المرحلة . اكتشاف للصلة  
بين الامة العربية والعالم المعاصر . اكتشاف لطبيعة المرحلة التي  
تمر بها الامة العربية . ل حاجات هذه المرحلة ، ولا هدفها . لخط  
الذي يجب ان تشقه الجماهير العربية لكي تصل الى اهدافها .  
كل هذا هو الذي يحدد الاطار العام للثقافة في مفهوم البعث .

وبهذا المعنى نستطيع القول بأن تعريفه للثقافة أخذ بعين الاعتبار  
جانبين رئيسيين :

ـ جانب المرحلة التاريخية العربية بصلتها بالمراحل الماضية  
القومية والعالمية ، وبالعصر الذي نعيش فيه ..

ـ الا انه أخذ بعين الاعتبار شيئاً آخر داخل المرحلة الخاصة  
التي نعيشها ، وهو : طبيعة التناقضات التي تقوم في الواقع العربي  
.. وبالتالي : الحاجات الراهنة للنهاية العربية في النضال ضد  
التجزئة ، ضد التخلف ، ضد الاستعمار والامبرالية والصهيونية ،  
و ضد الاستغلال الطبقي ..

\* افهم من هذا ان «البعث» لم يعط الثقافة  
مفهوما مرحليا ، إنما ربط المرحلة بالتاريخ ،  
وبعذر تاريفي ، وأصول تاريخية .. ومن  
خلال ذلك كانت نظرته الى المستقبل ..

الواقع ان تعريف الحزب للثقافة ، او فهمه للثقافة هو نتيجة  
لاستخدام منهج في التفكير . هذا المنهج في التفكير يمكن ، اذا ما  
استوعبناه ، أن يساعدنا على فهم مجلـل الأفكار والمساهمات  
ال الفكرية التي كانت للبعث في المرحلة الماضية . فمنهج الفكر الذي  
استخدمه البعث هو منهج جدلـي علمـي . وبهذا المعنى نلاحظ ان  
فـكر الـبعث ابتعد عن المـسلمـات الفلـسـفـية ، والـصـيـغـةـ الفلـسـفـيةـ ، فـقدـ كانـ  
جدـلاـ عـلـيمـاـ وـلـمـ يـكـنـ جـدـلاـ مـادـياـ فـلـسـفـياـ . جـدـلاـ عـلـيمـاـ تـارـيـخـياـ  
يـسـتوـعـبـ الـوـاقـعـ مـنـ خـلـالـ تـطـورـهـ الـحـيـ . لـذـكـ نـلـاحـظـ اـنـ أـخـذـ  
بعـنـ الـاعـتـارـ ، دـائـماـ ، الـقـوـانـينـ الـعـامـةـ .. وـالـخـطـ العـامـ لـلـتـطـورـ سـوـاءـ  
عـلـىـ الصـعـيدـ الـقـومـيـ ، اوـ عـلـىـ الصـعـيدـ الـعـالـمـيـ .. الاـ انـهـ اـعـتـبـرـ ، فيـ  
الـوقـتـ قـسـمـهـ ، الجـدـلـ الـخـاصـ لـلـمـراـحـلـ دـاخـلـ الـمـجـتمـعـ الـعـربـيـ ،

الجماهير بمعزل عن الظروف الموضوعية وعن السياق التاريخي  
لتضالها .

فأية محاولة ، اذن لعزل هذه الجوانب بعضها عن الآخر ، او  
الاكتفاء بواحد من هذه الجوانب – جوانب القضية القومية – او  
التركيز عليه بشكل مطلق ، هو خروج عن منطق وحدة القضية  
التي يجب ان تنظر من خلالها الى الامة كهوية تاريخية غير معزولة  
عن الواقع الحي ( اي عن النضال الجماهيري ) وكل ثقافة من هذا  
القبيل ائمها تتطوي على خلل داخلي يعطى تلامحها ويشل قدرتها  
على التطور الايجابي المبدع ، لأنها سوف تعيش على هامش المرحلة  
التاريخية ، وتقتصر الى التفاعل الحي مع الجماهير ، ومع الامة  
القادحة التي تتألف من جماهير محرومـة مناضلة ، ومن عدد قليل  
مستغل ( بكسر الغين ) ارتبطت مصالحـه بمصالحـ الاجنبـي ٠٠ فهو  
ليس من هذه الامة ولو انه ، شكليا ، ينسب اليـها ٠٠ وبالتالي ،  
فإن مفهـوم التحرـر والحرـية هو اعمـق ما في مفهـوم الثقـافة في الـبعث  
من معـان ، لأنـها تحرـير لـلامـة من التجـزـة ، وتحرـير للـجماهـير من  
الاستـغـلال ، وربطـ الـلامـة بـهـذا العـصـر الـذـي هو عـصـرـ الاـشتـراكـيـة ٠  
وبـنـاء لـلـانـسانـ الـعـربـيـ الـحرـ التـقدمـي ٠

لـذلك ، فـانـ النـظـرةـ الـقومـيـةـ بـسـنـظـورـ الـبعثـ لـلـثقـافـةـ هيـ نـظـرةـ  
اشـتـراكـيـةـ . نـظـرةـ ثـورـيـةـ ، نـظـرةـ عـلـمـيـةـ جـدـلـيـةـ ايـ نـظـرةـ شاملـةـ الىـ  
الـلامـةـ .

\* حـبـناـ لـوـ تـعـرـفـ هـنـاـ عـلـىـ اـبـرـ مـعـالـمـ النـظـرةـ  
الـقـومـيـةـ فـيـ الثـقـافـةـ كـمـاـ يـتـبـنـاهـ «ـ الـبعثـ »ـ .

الـنظـرةـ الـقـومـيـةـ تـأـتـيـ فـيـ مـنـهجـ فـكـرـ الـبـعـثـ الـجـدـلـيـ الـعـلـمـيـ  
الـتـارـيـخـيـ تـيـجـةـ لـفـهـمـ اـبـنـاعـيـ شـمـولـيـ لـلـقـضـيـةـ الـقـومـيـةـ ، فـالـقـضـيـةـ  
الـقـومـيـةـ فـيـ الـمـرـاحـلـ الـتـارـيـخـيـةـ الـتـيـ تـمـ بـهـاـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ هـيـ قـضـيـةـ  
نـظـرةـ مـوـحـدـةـ إـلـىـ الـأـمـةـ . وـنـظـرةـ مـوـحـدـةـ إـلـىـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ ، وـإـلـىـ  
جـمـلـةـ الـقـضـيـاـ الـتـيـ تـقـصـلـ بـوـحـدـةـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ ٠٠ـ فـهـيـ ، فـيـ هـذـهـ  
الـمـرـاحـلـ ، قـضـيـةـ الـوـحـدـةـ الـعـرـبـيـةـ ، وـقـضـيـةـ التـحـرـرـ وـالـتـحـرـيرـ ، وـقـضـيـةـ  
الـاشـتـراكـيـةـ . فـهـذـهـ الـقـضـيـةـ وـحدـةـ لـاـ تـجـزـأـ . لـذـلـكـ فـانـ الـنظـرةـ  
الـقـومـيـةـ لـلـثـقـافـةـ وـلـلـادـبـ وـالـفنـ هـيـ كـذـلـكـ وـحدـةـ لـاـ تـجـزـأـ : نـظـرةـ  
قـومـيـةـ تـحـرـرـيـةـ اـشـتـراكـيـةـ .

وـبـهـذـاـ الـمعـنىـ نـسـتـطـيـعـ القـوـلـ بـأنـ الـمـفـهـومـ الـقـومـيـ لـلـادـبـ فـيـ  
الـبـعـثـ هـوـ مـفـهـومـ وـحـدـوـيـ ، تـحـرـريـ ، اـشـتـراكـيـ ٠٠ـ لـاـنـ اـيـ عـزلـ  
لـهـذـهـ الـجـدـلـيـةـ ٠٠ـ لـاـ جـزـءـ هـذـهـ الـجـدـلـيـةـ هـوـ تـبـزـعـةـ لـلـقـضـيـةـ  
الـقـومـيـةـ ، وـبـالـتـالـيـ هـوـ نـوـعـ مـنـ الـانـهـارـ فـيـ الـنـظـرةـ إـلـىـ الـقـضـيـةـ  
الـقـومـيـةـ . اـنـ الـوـحـدـوـيـةـ الـلاـ اـشـتـراكـيـةـ ، النـابـعـةـ مـنـ نـظـرةـ قـومـيـةـ  
خـالـصـةـ ، سـوـفـ تـسـهيـ إـلـىـ نـظـرةـ إـلـىـ الـأـمـةـ مـعـزـوـلـةـ عـنـ جـمـاهـيرـهـاـ  
الـقادـحةـ . كـمـاـ إـنـ النـظـرةـ اـشـتـراكـيـةـ ، الـلاـ قـومـيـةـ الـمـبـعـثـةـ مـنـ نـظـرةـ  
أـمـيـةـ تـجـرـيدـيـةـ ، تـنـظـرـ إـلـىـ الـصـرـاعـ الـطـبـقـيـ فـيـ مـعـزـلـ عـنـ تـنـاقـضـ  
الـتجـزـةـ الـمـرـبـطـ ، نـفـسـهـ ، بـالـاسـتـعـمـارـ وـالـصـهـيـونـيـةـ ٠٠ـ اـنـهـاـ تـنـظـرـ إـلـىـ

\* وهنا يدخل التراث كجزء من التكوين الحضاري  
للامة العربية . فما هي نظرية البعث للتراث ؟  
وما هو موقفه منه ؟

التراث في مفهوم البعث يؤخذ مجردا عن حركة التاريخ  
العربي الحية الشخصية ، فهو ليس «التاج الفكري» المتبقى من  
المراحل السابقة ، معزولا عن الحياة العربية ونضال جمahir الامة  
العربية بل هو في نظر البعث ، هذه الصلة الحية بالماضي . فالتاج  
كان نتيجة لثورة هرت المجتمع العربي ، ووحدته ، ونقلته من  
مستوى الجاهلية إلى مستوى الحضارة ، لذلك ، لا يمكن عزل  
التراث عن هذه الحركة الحية التي هرت المجتمع  
العربي ونقلته من مرحلة إلى مرحلة أعلى وأكثر تقدماً ومتقدمة في  
النوع وليس في الدرجة .

لذلك فإن العودة إلى التراث لا يمكن أن تكون بالفكرة وحده  
لأن العلاقة بالتراث ، في منظور البعث ، ضلال جديد . هذا الضلال  
نزق فيه إلى مستوى الثورة ، حتى نستطيع أن نستوعب التراث  
الماضي استيعاباً مبدعاً . استيعاباً حياً . فلا ننطلق من عقل  
مستسلم للتجزئة وللاستعمار ولصيغ الاستغلال الظبيقي ، ولا يكون  
اتصالنا بالتراث اتصالاً عقيماً ، اتصالاً يتركنا عبئاً عليه .  
فالهم هو أن تتفاعل مع التراث . أن نعود إلى التراث من خلال  
موقع النضال الذي يؤمن بأهمية الفكر ، وأهمية الثقافة ، وأهمية

١٨٤

التفاعل مع الثقافة المعاصرة ، لأن «التقدمية هي وسيلة اتصالنا  
بماضينا» . كما يقول مؤسس البعث الاستاذ ميشيل عفلق . هي  
الطريق الذي يجعل هذه الصلة صلة حية . صلة مبدعة . صلة  
قادرة على أن تجعلنا نرتفع فيها إلى مستوى التفاعل المبدع مع  
هذا التراث . فنستطيع أن نكمِّل هذا التراث . أن تتابع  
خطواته المبدعة في الماضي ، وهذه الصيغة العجدالية العلمية الثورية  
التي تحتل في فكر البعث موقعاً مهماً ومتيناً عن الطروحات الأخرى  
التي تتناول العلاقة بالتراث ، هي التي تكشف أولاً عن حتمية هذه  
العلاقة . كما تكتشف خطأ الطرح النظري المجرد والمنطق الشكلي ،  
الذي ينقل المسألة من مستوى الواقع الختني إلى الاحتمال الجائز ،  
كما لو أن هذه العلاقة يمكن أن تكون موضع اختيار .

الاتصال بـ «ماضينا» شيء قائم ، موجود ، ومحظوظ ، لأنـه  
كما لكل منا ، تاريخه الخاص ، فإن له تاريخه الجمعي أيضاً .  
وكما أن له لا شعوره الفردي ، له أيضاً ، لا شعوره الجمعي .  
وتاريخنا يتسرّب اليـنا . داخلـفيـنا ، وجـزءـ منـ تـكـوـينـنا . ولكنـ  
اما أن تكون صـلـلتـناـ بـتـارـيـخـناـ ، بــماـضـيـناـ صـلـةـ عـجـزـ وـفـقـ ، اوـ صـلـةـ  
نقـديـةـ سـطـحـيـةـ طـائـشـةـ لاـ تستـوـعـبـ هـذـهـ صـلـةـ حـيـةـ بـيـنـ المـاضـيـ  
وـالـحـاضـرـ وـالـمـسـتـقـبـلـ اوـ انـ تكونـ صـلـةـ مـسـؤـولـةـ صـلـةـ تـسـاعـدـناـ  
فعـلاـ ، عـلـىـ تـطـوـيرـ ذـواـتـنـاـ كـأـفـرـادـ . كـأـنسـانـ عـربـيـ ، اوـ كـأـمـةـ تـعـودـ

\* طيب : وعلى أي نحو ترون امكان اقامة  
الصلة بيننا وبين التراث ، مع الحفاظ على  
روح المعاصرة ؟

الاخلاص للحقيقة الفردية كالاخلاص للحقيقة الاجتماعية ،  
سواء بمستواها القومي او الانساني . هذا الاخلاص يتطلب  
مستوى من المعاناة ، الحياة ، المسؤولية . ونوعا من التربية  
الذاتية . نوعا من النقد المستمر ، الداخلي . لمعرفة مواقع  
اقدامنا من ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . فهذه الصلة بين التراث  
الحي وبين الحاضر الحي أيضا لا تتحقق من دون ان نمر بتجربة  
حياة حقيقة . والتجربة الحية الحقيقة هي المعاناة : معاناة التمزق  
الذي تعيش فيه الامة . معاناة التخلف . معاناة البعد عن حقيقة  
الامة . عن استعدادها . عن طاقات جماهيرها المعطلة .  
هذه المعاناة تدفع الى المزيد من النضال .

اذن . النضال هو الوسيلة الحقيقة للابقاء على هذه الصلة  
المتوازنة بين التراث وبين المعاصرة . والنضال يوثق صلتنا بالماضي ،  
 يجعلنا نحتاج هذه الصلة . فهي التي تدعمنا في نضالنا ، وتقوينا ،  
وتساعدنا على تحديد هويتنا الحضارية .

والنضال يجعلنا في تعامل مع العالم المناضل ، كسندا لنا ، ومع  
العالم المضاد للثورة ، المعادي لثورات الشعوب المضطهدة التي

الي ماضيها . كأجيال تعود الى المتابع التراشية لكي ترى ، على  
ضوئها ، مدى تخلفنا عن الواقع البطولية التي يجب ان ترتفع اليها  
حياتنا ، وبالتالي يسكن ان نواجه بها التحديات التي تمر بها  
الامة العربية .

الصلة بالترااث ، اذن ، ليست موضوع اختيار . هي صلة  
طبيعية تاريجية تكوينية مدركة او لا شعورية . وهي قائمة  
عمليا على درجات واشكال : فهي اما قائمة كصلة سلبية بالترااث ،  
او صلة ايجابية سطحية ، او صلة ايجابية ، عميقة ، ثورية ، قادرة  
على ان تستوعب الصلة بين ماضي الامة وحاضرها ومستقبلها .

نحو جزء منها . لذلك فان هذا التوازن لا يمكن ان يكون نظريا .  
فالصلة بين التراث والمعاصرة هي توازن عملي . . أي انها موقف  
يسارس يوميا من خلال الصلة بالمشكلات الحقيقة للامة .  
فالاخلاص للامة ، ولا هدفها هو الذي يجعل هذه الصلة صلة  
عضوية ، وكما تكون الصلة بتاريخنا الماضي . . وحياتنا الماضية ،  
كذلك فانها ، تكون بمستقبلنا ومستقبل اهدافنا . .

\* حتى الان ، كنا نتحدث في الثقافة ، وال موقف  
الثقافي للحزب . فهل لكم ان تحددو ، هنا ،  
بعض معالم سياسة الحزب في الفن ؟

انها تظهر اولا في الاجراءات العملية التي شجعت وتعهدت  
الفنانين في هذا القطر ، الحركة الفنية ، وأبرزت المظاهر الفنية في  
حياة بغداد ، وعززت الاهتمام بالتراث الحضاري القديم  
أيضا . كل هذا يعكس اهتماما خاصا بالفن .  
وسياسة الحزب هي في تشجيع النهضة الفنية ، وتشجيع التعبير  
عن الفكرة العربية الثورية تعبيرا ادبيا وفنيا ، وربط الفن ربطا  
طوعيا بمشاكل الامة . لذلك يمكننا ان نتبين ملامح هذه السياسة  
فيما ورد في مقررات المؤتمرات الحزبية . ويمكن بنفس الوقت ،  
ان نجد في « ميثاق العمل الوطني » . اشارات واضحة الى هذه  
الجوانب . ونظرة الحزب المستمدة من مفاهيم الحرية  
والتحرر والثورة على واقع التجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي ،  
والتي تتميز بأفق حضاري انساني ، لأنها تتطلع الى اعادة الامة  
وواقعها الاجتماعي الى وضع صحي ايجابي نشيط وفاعل في الحياة  
الإنسانية . وموافق الحزب ، كلها تدل على ان سياسة الحزب في  
هذا المجال هي : تشجيع كل مبادرة فنية ، وتشجيع التقائهما بحركة

النهاية العربية ، وبالتعبير عن حركة النهاية .. التعبير عن مشكلات الجماهير العربية .. عن مأساة النضال العربي .. عن طموحات النضال العربي .. وبالتالي : تأصيل الأدب .. تأصيل الفن بتوثيق صلته بالتراث .. وتطوير الأدب والفن باتجاه الافتتاح على الاتجاهات المعاصرة والحياة المعاصرة ..

\* كثيراً ما ترد عبارة «الادب الثوري» او «الفن الثوري» على اقلام الكتاب التقديميين ، ترى ، على أي نحو يحدد البعض هذا المفهوم ؟

المعيار الثوري للادب هي درجة صلته بالجماهير ، وبالتعبير

عن حاجات الجماهير :

الجماهير كلمة عامة ، لذلك يجب ان ترتبط بسياقها التاريخي والجغرافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي . فالادب الثوري هو الذي يعبر عن طموح الجماهير ضمن اطار حركتها التاريخية النضالية ، وبالتالي هو الذي يساعد على رسم الطريق امام هذه الجماهير ، وعلى تفتيح وتفجير طاقاتها .

هذا هو الادب الثوري بشكل عام .

اما بالنسبة للادب العربي الثوري ، فهو ، في واقعه ، ادب الوحدة العربية .. ادب الاشتراكية العربية .. ادب التحرر العربي .. فبقدر ما يرتبط الادب بتحرير فلسطين .. بالوحدة العربية .. بالطبقة العاملة .. بالكافح ضد الاستعمار .. ضد التخلف ، يكون ادباً ثورياً له مضمون ثوري .. وعندئذ تكون جماليات الادب ، وجماليات الفن ذات ارتباط صميمي بالحركة الاجتماعية ، وبحركة

مجرد نقل لمدارس ادبية وفنية ، ومحاولة تطبيقها على واقع غير متجانس مع الواقع الذي نشأت منه تلك النظريات .  
 الادب التوري ، اذن ، هو الادب الذي يستطيع ان ييدعه  
 ان يكتشف ، لا ان ينقل فقط ويقلد . هو الذي يكتشف حاجات الامة ، وهو التعبير عن هذه الحاجات تعبرها يساعد الجماهير على ان تنطلق اكثر ، وعلى ان تفتح امكانياتها اكثر . وبالتالي :  
 يجعل النهضة العربية ليست مجرد عمل فيه قوة وحيوية ونشاط .  
 انما فيه ، أيضا ، حضارة ، وفن ، وجمال . فداخل المفهوم الاشتراكي القومي التحرري هناك جانب انساني عميق يتصل بالقيم الجمالية التي هي ، بحد ذاتها ، قيم انسانية حضارية .

النضال القومي .. وتكون تماما ، كالجسد : ملامحه ترتبط بمعانٍ ارتباطا عيناً ، وبحركته ، وبحيويته ، وبنشاطه .

لذلك ، هناك اكثٌ من نظرة الى تعريف الادب الثوري .  
 اذا اخذنا مفهوم « الواقعية الثورية » ، بمعناها الدوغمائي الذي يعتمد المنهج الجدلـي المادي بشكل آلي ، نلاحظ ان هذا الفهم قد لا يستوعب الجوانب الذاتية استيعابا عيناً ( الجوانب السايكولوجية ، والجوانب التي تتعلق بالمرحلة القومية والعلاقة بالترااث ) لذلك لابد ان يضاف الى هذا الفهم الجدلـي اطار وظيفي . اطار عملي ، بنويـي ، فالمدارس التي حاولت في المرحلة المتأخرة من التطور العالمي ، على صعيد الفكر وعلى صعيد الفن ، ان تربط الادب بالبنية الاجتماعية كلــه بمجموعة العلاقات الاساسية التحتية للمجتمع ( والتي هي بالإضافة الى كونها « علاقات انتاج » ) هي علاقات نضال اي علاقات صراع مع التخلف . علاقات نضال ضد الامبرالية والصهيونية من اجل كشف الهوية التاريخية للجماهير المناضلة . الهوية القومية التحررية الاشتراكية ) . وبكلمة واحدة ربط الادب (والشكلـيات الجمالية) بضمونها الحقيقي ، لا ان تكون

ضمن اطار عام . فالحزب حدد (الاطار العام) الذي يستطيع البعض من خلاله ان يستوعب مهمته الفنية ، والادبية . أما تحديد الدقائق والتفاصيل فهذا شيء يعني تدخلها في حرية الفنان ، وبالتالي في قابلية الابداع لديه ، و يؤدي الى الحد من هذه القابلية .

ولأن فكر البعث قام على اكتشاف الحقائق الجديدة ولم يجتر حقائق قديمة ، فانه حاول ان يستفيد من كل التراث العربي ، ومن التراث الشوري العالمي ، دون ان يكون ذلك قيدا للابداع فيه . لذلك كان شيئا طبيعيا ان يكون مفهوم الالقاء الطوعي الداخلي بين نظرة الاديب ونظرة السياسي (الذى هو ، بنفس الوقت ، المناضل البعضي) . هذا الالقاء هو الذى يجعل شخصيته متكاملة تماما حقيقيا . ان يكون الانسان حقيقيا لا ان يكون مقلدا . فتجربته السياسية تتفاعل مع تجربته الفنية ، مع تجربته الجماهيرية ، أي تتدخل جملة العوامل المكونة لثقافته (العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) حتى يكون الانسان المبدع .

هنا ، ربما نحتاج لهم هذه الصيغة ان نشير الى العلاقة بين البنية الفوقية والبنية التحتية . هذه العلاقة ، أيضا ، فهمت في البعث فهما جديلا . أي : لم يكن الفن مجرد انعكاس لحركة الواقع المادية . الفن هو التفاعل المبدع مع هذه الحركة . وبالتالي فانه كما يتأثر بها ، يؤثر فيها . وهذا التأثير احيانا يكون

\* المعروف ان البعث لم يفسر ادباه وفنانيه على تبني صيغة جمالية محددة . فهو قد طالب بالالتزام ، ولكنه ترك لهم « الحرية في الالتزام ». فهل هناك مفهوم محدد للالتزام في الادب والفن لدى البعث ؟

لأن البعث لم ينطلق من صيغة فلسفية مغلقة . أي من مدرسة فكرية ذات افكار نهاية . ولا انه حاول ان يتفاعل تفاعلا جديلا علميا تاريجيا مع ماضيه ، ومع حاضره . لذلك فانه حاول ، باستمرار ، ان يكون فكره فكرا جديلا كاملا ، وليس فكرا جديلا جزئيا . بمعنى : ان العلاقة بين الفرد والمجتمع . بين الذات والموضع العلاقة بين الامة وبين المجتمع العالمي الراهن . العلاقة بين الماضي وبين الحاضر والمستقبل . هذه العلاقة اتصورها علاقة جدلية ، كاملة حية . أي متطرفة . وبهذا المعنى نلاحظ ان أي قسر للعامل الموضوعي لحساب الذاتي ، أو قسر الذاتي لحساب الموضوعي يكون فيه اصطناع .

بهذا المعنى نجد ان مفهوم « الالتزام » - الذي يؤكده الطبيعة الجدلية للعلاقة بين الذاتي والموضوعي ، هو أقرب من « الازام » - الذي يضع الذاتي في موقع تبعي تضيق فيه المساحة الازمة من الحرية للابداع الفني - تعبيرا عن الصيغة التي تتصور فيما مجال التفاعل ، للوصول الى التعبير الجمالي والفنسي

عبيقا ، لأن الثورة ابداع ، والفن والادب من اهم العوامل المساعدة على هذا الابداع . لذلك فان أي مجال يترك للادب أو للفنان الفرصة لكي يتحدد بالنهضة العربية اتحادا داخليا هو الذي يعكس مفهوم الالتزام عند البعض .

فالثورة هي (فن اعادة بناء المجتمع) بشكل يتخلص فيها من الشوبيهات التي تحد من انطلاقه وتقده . وكما ان (الثائر) ينطوي على (الفنان) في داخله ، والثورة تتضمن (نظرة فنية) الى الحياة ، كذلك فان كل فنان ينطوي على بذرة الثورة ، فهو مشروع ثائر ، لا يتجاوز ذاته الا اذا التحزم بحركة الجماهير كشرط اساسي لاتحاد الفنان بالثائر في داخله .

\* ووفق هذه النظرة ، كما اظن ، حدد البعض  
الدور الاجتماعي للادب والفن في الحياة  
العربية ..

نعم وفق هذه النظرة حدد المفهوم الاجتماعي ، والدور الاجتماعي للادب والفن . وهو دور قائد . هو ، تماما ، كما الثقافة بوجه عام ، كما الايديولوجية بشكل عام . فأيديولوجية البعث تحضن المفاهيم الادبية والفنية كعامل مساعد في خلق صلة حية بين الجماهير العربية وبين فكرتها . بينها وبين طريق نضالها .. بينها وبين الطليعة ، الاداة الاساسية لهذا النضال . وبهذا المعنى لا يكون الادب مجرد تزيين للعمل السياسي ، ولا ترفيه او امتداد سطحي وشكلي ، انفعالي ، اضافي لفعالية السياسية ، والفعالية الاجتماعية . بل هو سلاح : سلاح في التطوير الاجتماعي ، والتطوير السياسي ، والتطوير في كل جوانبه : المادية والمعنوية . ان الادب والفن ، هما اكثرا من راقد يصب على الحياة الاجتماعية ليعنيها ويدفعها باتجاه الاهداف الكبرى للمرحلة التاريخية . انهما ، الى حد كبير ، يشكلان معيارا من اهم معايير التطور باتجاه هذه الاهداف ، لأن الاستعداد للتخلص من القديم البالى ، والروح النقدية الفاحصة ، المميزة ، الوازنة بدقة ، لمستوى

\* يبدو من هنا ان جوهر نظرة البعث ، في هذه المجال ، تختلف عن نظرة مدارس ادبية وفنية عديدة . فهل بالإمكان تحديد موقف البعث من هذه الاتجاهات والمدارس السائدة اليوم في الحياة الثقافية العربية ؟

أصول هذه المدارس ترجع ، في الواقع ، الى مرحلة سابقة لبدء النهضة العربية . وهذه الأصول مستمدّة من الثقافات الغربية، هذه الثقافات التي تركت في مجتمعنا آثارا كثيرة انعكست على مجتمعنا عن طريق المثقفين والفنانين الذين درسوا في الغرب .

التيارات الفنية ، والمدارس الفنية في الغرب عبرت عن سياق تاريخي معين ٠٠ عن مجتمع معين في مرحلة زمنية محددة من تاريخ تطوره ٠٠ وبالتالي ، فإن نقل هذه الصيغ له فائدة اذا كان النقل للتفاعل وليس للقولبة ، أليس من المفارقة نقل افكار ومدارس من سياق تاريخي الى سياق تاريخي آخر ، ومن سياق اجتماعي الى سياق اجتماعي آخر ؟

ان المدارس المعنية يمكن ان تصنف تصنيفات متعددة ، منها : المدارس الواقعية الاشتراكية ، ومنها المدارس المثالية ٠٠ منها المدارس الملزمة ، والمدارس غير الملزمة . هناك المدارس التي يمكن ان تنتمي الى البرناسية ، والى التكعيبية ، والى التجريبية ، والى

التحولات الاجتماعية ، وغيرها من الفضائل التي تشذ الانسان - الفرد - والمجتمع ، الى الاهداف الكبرى ، تجد في الادب والفن مدرسة حية متتجدة ، تعطي ، وتحاسب ، وتوشر علامات النجاح والفشل ، في آن معا . وكلما اتجه الادب والفن الى الجماهير وكانت متنفسا لها ، كان دورهما الاجتماعي ريادة وقيادة .

مع عالم له نظرياته ومفاهيمه . وبهذا المعنى يمكن ان تتبين في بعض المحاولات التي يقوم بها الفنانون والادباء العرب قلمون طريق جديد هو ليس من قبيل تقديس الجديد ، او الرغبة في التفرد من اجل التفرد . . انما من اجل ان تكون النظرية الادبية والفنية معبرة عن حقيقة نعيشها . . تعيشها جماهيرنا . .

ان نظرية البعث هي نظرية الواقعية الاشتراكية ، لكن بمعناها الاوسع شمولاً . هي واقعية قومية تحررية اشتراكية ، تحصل نفس سمات الايديولوجية العربية الثورية ، لكن معطى لها كل المجال لان تكون صلة الادب والفن فيها بالسياسة وبالحياة الاجتماعية ، وبالاقتصاد صلة عضوية ، وليس صلة ميكانيكية .

المدارس الحديثة المتعددة . يمسكتنا ، نحن ، ان نلتقي بهذه المدارس ، وتفاعل معها ، ونفهمها . لكن لانستطيع ، اذا اردنا ان نكون مبدعين ، الا ان نبدأ من منطلق اساسي مهم ، هو المنطلق التراخي أي من الهوية الاجتماعية التاريخية في تفاعಲها مع الحاضر والمستقبل . ومع المشكلات الحية الاساسية التي تشكل جذر حياة الفنان . . بـأن نستوعب التراث العربي استيعابا عميقا ، وفي نفس الوقت بـأن نفهم الواقع العربي الراهن بكل ما فيه من عيوب وجوانب متميزة . . لـأن تناقضات الواقع العربي ، والماسي التي يعيشها ، والجوانب الايجابية لتطوره ، لها ابعاد في نفس الفنان الاصيل يمكن ان تصاغ فــينا ، وان تدرس فــينا . . وبالتالي يمكن ان تكون موضوعا . . فــواة لنظرية في الادب والفن تتكامل مع النضال العربي ، ومن خلال التفاعل مع هذه المدارس ، أيضا . لـأن احدى مهمات الادب والاديب والفنان ، هي ربط المجتمع بالعصر .

لذلك ، فالمدرسة البعثية في الفن ، وان لم تعط صيغتها المتكاملة بعد ، خطها الاساسي هو هذا التفاعل الخصب ، المبدع بين التراث وبين تحليل الواقع العربي الان ، والنظر اليه نظرة جمالية مستندة الى تحليل واقعه ، وفهم هذا الواقع ، وبين نهضة الجماهير العربية . . هذه النهضة التي لها معانٍ جمالية ايضا بقدر ما لها من معانٍ سياسية واجتماعية واقتصادية معينة ، والتي تتفاعل ، ايضا ،

\* طيب : وهل تعتقدون أن لدينا ، عريساً ،  
صيفاً وأضحة لثقافة ثورية ، وأدب ثوري ،  
بالمعنى الدقيق لذلك ؟

هذا موجود في الماضي العربي كما هو موجود في الحاضر العربي . اذا اخذنا ، مثلاً ، اراجيز الشعراء المناضلين ، سواء في فلسطين او في الثورات العربية المعاصرة . وبالتالي : عندما تبين ، أيضاً ، في جهد العديد من الفنانين والشعراء ملامح تعبير (جزئية احياناً ، وخطفة احياناً اخرى ) عن هذه النهضة العربية ، نستطيع القول : ان هناك بوادر جدية ، وبواحد ذات اهمية كبرى في التعبير عن هذه النهضة العربية . ومن هنا نستطيع ان تتفاعل بآن الفكر الشوري العربي الذي شق طريق الجماهير العربية من اجل النضال الوجودي التحرري . هذا الفكر الشوري ، بعد ذاته ، ينطوي على بعديني . أي ان له نظرة الى الامة كوحدة . له نظرة الى الامة وقد تجاوزت تناقضاتها ووصلت الى مرحلة اعلى ، واستطاعت ان تهب للانسانية ذاتها ، وثبتت لها قيمها .

هنا ، في الواقع ، لا نستطيع منذ الان ، ونحن في بداية النهضة العربية ، الا ان تكون في مستوى قاعدة الهرم بالنسبة للصيف الثقافية ، والصيف الفكرية والفنية . التبلور في هذه المفاهيم ، والوصول الى المستوى الذي وصلته الثورات الاخرى ، والمجتمعات الاخرى . هذا شيء فيه اخرج للتاريخ . فيه نوع من المصادر

٤٠٢

على المطلوب في المرحلة الراهنة . اذا لا يمكن ، بشكل من الاشكال ، توقيع ان يكون هناك ادب عميق ثوري متضاد للاتجاه ، ومتمام ، وغيره ، باتجاه بلورة مفاهيم ثورية محددة ، وشبه متكاملة . الا اذا نظرنا الى المستقبل ، اي الى مستقبل حركة النضال العربي . فكلما تعمقت واشتدت هذه الحركة ، وعمقت وحدة النضال العربي ، والصيف القومية للنضال العربي ، والصلة بين هذه الصيف القومية وبين الجماهير العربية ، كلما ظهر الادب الثوري بعمق أكبر ، وبنساج أوفى .

الآن . هناك ملامح . هناك بوادر . فعلاً اذا نظرنا ، بدراسة تحليلية ، الى ادب ونتاج كل الكتاب والفنانين ، مهما كان انتاجهم ومهما كانت مدارسهم ، نلاحظ هناك بعض الجوانب التي تصب في تيار الثورة في الوطن العربي .

ان وقيرة التطور في الثقافة وفي الادب والفن ، غيرها في السياسة وفي التطور الاجتماعي ، لأنها تحتاج الى عملية افصاح فكري ونقسي تستغرق زمناً اطول . ومن الغرور ان ندعى ، في مثل هذه المرحلة من النهضة العربية انه قد تكون لدينا الان ثقافة ثورية وأدب ثوري بالمعنى الدقيق لذلك .

\* على أي نحو يفترض البعض صلة الأديب أو  
الفنان التنمي إليه بالجمهور؟

صلة بالجمهور لها جانبان : جانب فكري ، وجانب عملي ..

الجانب الفكري هو أن يعيش الأديب نوعاً من المعاشرة الفكرية تجعله قريباً من جماهيره . إن التحام فكر الأديب بآيديولوجية الجماهير العربية المناضلة ، يشده إليها فكلما كانت المعاشرة الفكرية (أي هذا النوع من التفاعل مع فكرة الوحدة العربية ، مع فكرة الاشتراكية ، مع فكرة التحرر والتحرر) عميقة ، كلما كان قريباً من جماهيره ، اينما كان . هذا الجانب الفكري أساسي ومهم ، ويجعله قريباً من الجماهير حتى لو كان بعيداً عنها إلا أن هذه الصلة تبقى جزئية ، لأن هذا الشرط يجب أن يقترن بشرط آخر لكي يأخذ معناه الحقيقي .. وهو : « المعاشرة القومية » : المعاشرة القومية اليومية لمشكلات النضال الجماهيري على صعيد الوطن العربي هناك بؤر للنضال العربي . هذه البؤر تشتت أحياناً في هذا القطر ، وأحياناً في ذاك .. وبالتالي ، فإن الأديب يقدر ما يتمتع بهذه الصفة القومية التي تجعله متفاعلاً مع هذه التجارب اليقظة .. تجارب الكفاح القومي التحرري الاشتراكية في أي مكان ..Undez يكون ، فعلاً ، قريباً من جماهير الأمة العربية .. إلى جانب المعاشرة الفكرية والقومية هناك معاشرة نفسية

وتجانس فالفنان والأديب يعيش هموم الجماهير ، افراحها وتفاؤلها وقلقاً وغمها ، هموم العمل والبطالة ، هموم العيش .. هموم الكدح والجهد ، وهموم النضال والكفاح ..

أحياناً ، اصطناع الأدوار لا يفيد شيئاً .. يعني أن يذهب الأديب ليعيش أسبوعاً في معمل ، أو في مزرعة ، أو في محيم للاجئين ، أو في ثكنة عسكرية .. هذا ، بعد ذاته ، مفید .. ويوقظ في الأديب الكثير من المشاعر .. لكنه بالاصطناع لا يوقظ شيئاً .. فكلما توفرت ظروف ومجالات التقاء الأديب بالجمهور ، كلما كان هذا أقل في تعريف صلته بالجماهير ، أنا اتصور الأديب الشوري الذي يعيش بصورة طبيعية في حي من أحياء الكادحين ، وبالتالي يستطيع أن يعيش الجمهور بشكل عفوي ، ليس فقط في حي من أحياء بغداد ، بل في أحياء دمشق والقاهرة والجزائر وفي كل مكان فيه الحياة العربية ، والنضال العربي تقدمي .. Undez يستطيع أن يكون قريباً من هذه الجماهير ..

المهم هنا ، كما قلت ، هو أن يتخلّى عن كل ما دخل إلى ذاته من روابض الأفكار والعادات التي لا تنتمي إلى حركة الجماهير العربية .. فكلما تخلّى عن روابض الفكر البرجوازي ، وعن نفسية وعقلية التجزئة ، كلما كان مستعداً للنضال غير المأمور لعادات رفاهية محددة .. أو لصالح قطبية أو نظرية إقليمية وكلما امتلك

\*  
كثيراً ما تذهب الدراسات الى أن هناك أزمة  
ثقافة في عالم اليوم ، برأيك : الى اي حد  
يصدق هذا ، وبالذات بالنسبة للثقافة  
العربية ؟

نعم .. هناك أزمة ثقافة في العالم المعاصر عبر عنها الاستاذ جان بياجية ، عالم النفس السويسري الشهير بقوله : « اتنا لا نفهم العالم الراهن لا فكريًا ولا خلقيًا . اتنا نشبه ازاءه رجل الاسكيبيو الشیخ المسن الذي سأله احد العلماء : لماذا تتمسك قبیلته ببعض العادات والطقوس التي اعترف بأنه لا يدرك لها معنى . ولكنه أجاب : « اتنا يا سيدي تتمسك بهذه التقاليد لكي لا ينهار العالم » ان الثقافات الماضية التي استجابت لظروف نشأتها ، تجد نفسها بعد الحرب العالمية الثانية ، أمام ظروف جديدة متباعدة ، وتدخل مرحلة الأزمة ، أزمة التكيف مع المعطيات الجديدة . لأنها بالرغم من رصيدها التاريخي ، لم تعد تكفي جواباً على معطيات هذا العالم . فعصرنا يفتش عن حضارة جديدة ، كما يقول موريس كروزي ( في الجزء السابع من موسوعة التاريخ العام للحضارات ) . وهذه الأزمة لم يعد يعبر عنها تعيراً وصفياً فقط ، بل إنها ، في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، أصبحت تفاصي كثيرة . فهناك دراسات تكشف عن أن المعرفة البشرية تتضاعف كل عشر سنوات . وفي احدى اللجان التي شكلتها اليونسكو برئاسة ( ادغار فور )

حياته ، كفنان حقيقي ، كلما نظر الى هذه الحرية من خلال جراح امته ، ونضال امته ، ومن خلال روح العصر ومفاهيم العصر ، وبالتالي كلما كان اقرب الى الجماهير ، لأن الجماهير التي تبدو كما منفعل أحياناً ، هي ، في الواقع وفديمثل المرحلة الراهنة للامة العربية ، طاقة من الثورة ومن الاستعداد النضالي ، ومن الوعي الكامن ، ومن المعاناة النقدية المستمرة ، التي تنضج التغيير النوعي . فهي المؤهلة لأن تتفاعل مع قدر الامة ، ومع هذا العصر ، اكثر بكثير من عديد من المثقفين الذين لا يمكنهم معاناة . الجماهير كلها معاناة ، والاديب لا يكون قريباً من جماهيره الا بهذه المعاناة . والمعاناة المنظمة ، العميقه وحدها تملك القدرة على ان تكتشف المعاناة الجماهيرية ، وان تصوغها بقالب فني صحيح .

من أجل قياس مدى تخلف المنهج عن تطور الثقافة ، هناك اشارة الى ان اكثر المدارس تكيفا مع الثقافة متخلفة بمقدار ثمانين سنوات ، وهي نفس المدة التي تتضاعف فيها الثقافة ، لذلك نلاحظ ان هناك أزمة ثقافة ، وهي أزمة تسارع في تطور الثقافة .

وهناك أزمة عبر عنها (بير هنري سيمون) ، احد الاكاديميين الفرنسيين ، عندما اشار الى نوع جديد من الاستلاب : استلاب العالم في موضوع علمه .. لان العالم ، مهما كان تخصصه فرعيا ، نلاحظ ان المعرفة تتجاوزه بسرعة لا يستطيع معها اللحاق بها وامتلاكها ، فهو حتى في هذا الميدان المحدود الضيق الذي تتتطور فيه المعرفة بسرعة كبيرة ، نلاحظ ان العالم لا يتمكن من اللحاق بموضوع علمه وان ذلك يجعله يعيش نوعا من الاغتراب حتى داخل هذا النظام من المعرفة .

ازمة الثقافة لها وجه آخر في العالم المعاصر ، هو ان التقدم التكنولوجي ، والتقدم المادي ، بشكل عام ، ليس مصحوبا بتقدم فكري وتربوي يضبط هذا التطور التكنولوجي .

ثمة وجه آخر لهذه الازمة ، هو : ان العالم المعاصر الذي نعيش فيه ، من جملة سماته انه عصر الثورة التقنية الحديثة .. الا انه ، في نفس الوقت ، عصر الاشتراكية . لذلك نلاحظ هنا ان عدم وضع الثقافة والتطور العلمي التكنولوجي ، وضبط هذه التحولات

بشكل يضعها في إطار اشتراكي أي ، في خدمة الجماهير ، (لان هذا العصر ، ايضا ، هو عصر الجماهير) ، هو احد ملامح الازمة التي تعيشها الثقافة في العالم المعاصر .

اما على الصعيد العربي ، فلتلقيف ازمنتها المزدوجة : أزمة تتعلق بالعلاقة بالتراث الماضي ، وازمة علاقة بالحياة المعاصرة وبالمشكلات المباشرة التي يعيشها الوطن العربي . ان صورة الماضي العربي ما تزال تعاني من تراكمات ، جعلتها غامضة ومغلقة بكثير من الواسب التي تحجب حقيقته . فهي ما تزال في منأى عن الوضوح الكامل في أذهان المثقفين العرب . وكذلك العالم الراهن في صورته الكلية الشاملة وحركة تطوره الجدلية . لان الثقافة الفظية ، ثقافة الترديد البيغواي والاقتباس السريع ، وثقافة الترجمة والتجميع ، الثقافة البورجوازية المعزولة عن الاطار السياسي والاقتصادي والاجتماعي لحركة الجماهير العربية ونضالها .. الخ ، تعكس الملامح المتعددة لازمة الثقافة العربية . فازمة الثقافة العربية هي أزمة المثقف العربي . والمثقف العربي لا يمكن ان يحل ازمه ويشارك في حل الازمة العامة للثقافة الا عندما يصبح مناضلا ، بكل معنى الكلمة .. أي مرتبطا بمصلحة ونضال الجماهير الكادحة ، المناضلة في الوطن العربي ، وفي مقدمتها الطبقة العاملة . وعندئذ لا تكون ثقافته ثقافة كتب ، بل ثمرة للكفاح اليومي والمعاناة اليومية المنظمة المسؤولة ، وللمشقة الفكرية والجهد اللازم لا يجاد

الحلول للمشكلات التي يطرحها النضال الهدف الى بعث الامة العربية \*

\* هذا الاشكال القائم : ما هو السبيل الذي ترونـه اوفق من غيره لحلـه ، بهدف حسمـ هذه التناقضـات ؟

هـنـاك نوعـ منـ الثـنـائـيـة يـسيـطـر عـلـى الـحـيـاـة الـعـرـبـيـة ، كـما يـسيـطـر عـلـى كـل مجـمـعـ فـيـه تـنـاقـضـات كـبـيرـة ٠٠ ثـنـائـيـة بـيـنـ الفـكـرـ وـالـعـمـلـ ٠٠ بـيـنـ الطـلـيـعـةـ وـالـجـمـاهـيرـ ٠٠ بـيـنـ الـطـمـوـحـ وـالـاـرـادـةـ ٠ كـلـ هـذـهـ تـنـاقـضـاتـ هـنـاكـ مـدـخـلـ وـاحـدـ لـحـلـهـ ، هـذـاـ مـدـخـلـ هـوـ النـضـالـ الـذـيـ يـخـلـقـ الـانـسـانـ الـعـرـبـيـ وـالـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ خـلـقـاـ جـدـيدـاـ ، هـوـ المـنـاخـ ، اوـ الـأـجـوـاءـ الـتـيـ تـسـمـعـ بـاـبـدـاعـ شـيـءـ جـدـيدـ ، بـخـلـقـ شـيـءـ جـدـيدـ ٠٠ بـتـكـوـينـ شـيـءـ جـدـيدـ ٠ فـالـخـلـقـ وـالـابـدـاعـ وـكـلـ ماـ يـبـهـيـ الشـرـوـطـ لـهـماـ ، هـوـ الـمـدـخـلـ لـلـتـخـلـصـ مـنـ زـيـفـ الـمـرـحـلـةـ السـابـقـةـ ٠ الـاـبـدـاعـ الـفـرـديـ الـمـقـرـنـ بـاـبـدـاعـ حـالـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ جـدـيدـةـ ، وـالـذـيـ يـصـبـ عـلـىـ الشـرـوـطـ المسـاعـدـةـ عـلـىـ خـلـقـ حـالـةـ مـنـ الـاـبـدـاعـ فـيـ حـيـاـةـ الـأـمـةـ ٠ الـانـسـانـ الـعـرـبـيـ يـتـكـونـ مـنـ خـلـالـ النـضـالـ ، وـكـذـلـكـ النـفـسـيـةـ الـعـرـبـيـةـ ٠ وـالـمـجـمـعـ الـعـرـبـيـ يـتـبـدـلـ مـنـ خـلـالـ النـضـالـ ٠ لـذـلـكـ لـاـ يـمـكـنـ اـيـجادـ مـخـرـجـ لـهـذـهـ ثـنـائـيـةـ وـهـذـاـ التـنـاقـضـ الـاـ بـتـصـعـيـدـ النـضـالـ فـيـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ ، وـجـعـلـ الـحـيـاـةـ الـعـرـبـيـةـ قـائـمةـ عـلـىـ اـسـاسـ اـعـتـيـارـ النـضـالـ هـوـ كـالـهـوـاءـ وـالـمـاءـ بـالـنـسـبةـ لـشـعـبـنـاـ ، لـاـنـ النـضـالـ ، كـمـاـ يـقـولـ الرـفـيقـ الـقـائـدـ الـمـؤـسـسـ (ـالـاستـاذـ مـيشـيلـ عـفـلـقـ)ـ هـوـ جـوـهـرـ الـأـمـةـ ، جـوـهـرـ الـأـمـةـ فـيـ هـذـهـ مـرـحـلـةـ مـنـ

انـ الـازـمـةـ مـاـ تـرـوـالـ قـائـمةـ وـمـوـجـودـةـ فـيـ خـلـقـيـاتـ حـيـاتـنـاـ وـاـنـتـاجـنـاـ وـنـشـاطـنـاـ ، وـاـبـعـادـهـ تـأـخـذـ شـكـلاـ مـأـسـاوـيـاـ عـنـدـمـاـ نـلـاحـظـ الـكـلامـ عـنـ الـوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـقـرـنـ بـرـوـاـبـ عـقـلـيـةـ الـتـجزـعـةـ ، وـنـفـسـيـةـ الـتـجزـعـةـ الـكـامـنـةـ فـيـ خـلـقـيـاتـ الـأـلـفـاظـ الـتـيـ تـسـتـخـدـمـ فـيـ الـبـحـثـ وـالـتـعـبـيرـ عـنـ قـضـيـةـ الـوـحدـةـ ، وـعـنـ ثـورـةـ الـوـحدـةـ ، وـعـنـ تـحـقـيقـ الـوـحدـةـ ٠

وـكـذـلـكـ فـيـ مـلـاحـظـةـ تـنـاقـضـاتـ فـيـ الـطـرـحـ الـوـحدـوـيـ ، وـفـيـ الـتـطـبـيـقـاتـ الـوـحدـوـيـةـ ، وـفـيـ الـمـسـارـ الـوـحدـوـيـ الـذـيـ لـاـ يـكـوـنـ ، فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـاـحـيـاـنـ ، مـعـبـراـ عـنـ هـدـفـ الـوـحدـةـ ، اـنـمـاـ عـنـ مـصـالـحـ طـبـيـقـيـةـ اوـ مـصـالـحـ وـقـيـةـ دـاتـيـةـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـاـ بـالـتـطـوـرـ الـمـوـضـوعـيـ لـلـمـرـحـلـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـوـاقـعـ الـعـرـبـيـ ٠ وـالـاـمـرـ نـسـهـ فـلـاحـظـهـ اـيـضاـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـاـهـدـافـ الـاشـتـراكـيـهـ وـالـعـرـبـيـهـ وـالـتـحرـيرـ ، وـغـيرـهـ مـنـ الـاهـدـافـ الـاـسـاسـيـةـ لـلـمـرـحـلـةـ الـعـرـبـيـةـ الـراـهـنـهـ ٠

\* طيب ، ما هي نظرية الحزب للجدلية القائمة  
بين الادب والنضال ؟ وما هو المفهوم الذي  
يطرحه عن علاقة الادب بالواقع ؟

لان فكر الحزب اكده على مسألة الحرية .. الحرية كهدف اساسي ، وكمحرك نضالي في الحياة العربية .. هذه النظرة الى الانسان ، الى الامة كجواهر حضاري .. كذات حضارية واكتشاف طبيعة المرحلة العربية الراهنة وسياق الظروف الموضوعية لتطور المجتمع العربي ، وكون المرحلة التاريخية مرحلة ثورية ، مرحلة النهضة ، أي اهتمام الحزب بهذا الربط الجدللي بين الذات والموضوع هو اساس العلاقة بين الادب والنضال .. فالنظرية الواقعية الثورية هنا تأخذ شكل مغابلة ل الواقع .. شكل تغيير الواقع .. شكل ابداع واقع جديـد من الادوات السابقة الـقديمة مع حل تناقضاتها .. ومن هنا نلاحظ ان الـادـيب الذي يمتلك المـوهـبة والـامـكـانـيـة على نقل هذه الحركة ( حركة التطور المـبدـعـةـ فيـ النـضـالـ ) الى صيغ تعمم اـجوـاءـ النـضـالـ ، وتساـهمـ فيـ تـغـيـيـرـهاـ ، وـفيـ اـنـعاـشـ الـاـمـلـ ، وـفيـ تـغـيـيـرـةـ النـظـرـةـ المـتـقـائـلـةـ ..

فالـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـادـبـ وـالـنـضـالـ جـوـهـرـهاـ مـشـكـلـةـ الـحـرـيـةـ ،ـ وـالـاـيمـانـ  
بـالـحـرـيـةـ حـرـيـةـ الـجـمـيعـ الـمـنـاضـلـ ،ـ الـجـمـاهـيرـ الـمـنـاضـلـ ،ـ الـاـنـسـانـ الـمـنـاضـلـ ،ـ  
مـنـ اـجـلـ الـقـضـاءـ عـلـىـ الضـيـاعـ ،ـ الـذـيـ جـاءـ بـهـ الـاسـتـعـمـارـ وـالـتـجزـئـةـ

حياتها خاصة ، لأن التحديات التي تواجهها ، وعوامل النهوض لمواجهة هذه التحديات والانتصار عليها ، أيضا موجودة .. لذلك فإن المهم فقط هو القيادة التي تستطيع أن تترجم هذه الامكانيات ، وهذه الاجواء الإيجابية باتجاه النضال الى مخطط علمي ، نضالي يوحد الطاقات العربية ، ويخلق مناخاً لبيئة فكرية جديدة مبدعة تستطيع ان تتغذى بالنضال ، وتغذيه ، وتجعل الامة ترتفع فوق ذاتها ، وتواجه مصيرها مواجهة واعية وحضارية .. ومن هنا يظهر الفرق بين هذا المنظور ، مثلا ، والمنظور المعاكس الذي هو منظور التسويفية السلبية الذي ينطلق من فكرة المصالحة مع واقع ينطوي على جوشومة القضاء على كل ما هو كامن في الامة وفي الانسان العربي ، من استعداد للتجدد والإبداع والخلق والعطاء الحضاري .. والذي يفرط بالمستقبل وبما في الحاضر من ممكـنـاتـ .. ان مثل هذه النـظـرةـ التي لا تـأـخـذـ بـعـينـ الـاعتـبارـ هـذـهـ المـمـكـنـاتـ ،ـ وـالـتيـ هيـ تـبـيـيرـ عـنـ اـفـلـاسـ نـضـالـ اـنـماـ تـعـكـسـ الـوـجـهـ التـقـيـضـ للـنهـضـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـعـاـصـرـ ،ـ لـذـلـكـ فـيـهـ ،ـ اـيـضاـ تـبـيـيرـ عـنـ اـفـلـاسـ ثـقـافـيـ .. وـوـبـمـاـ اـنـ اـزـمـةـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ تـجـلـيـ فـيـ هـذـاـ الجـانـبـ بـشـكـلـ مـأـسـاوـيـ اـكـثـرـ مـنـ تـجـلـيـهـاـ فـيـ اـيـ جـانـبـ آـخـرـ ..

\* هنا تظهر معالم الدعوة لاقتراح الادب والفن  
بالفكر والحياة الفكرية . وقد أكد الحزب على  
هذه النظرة ، وجسد جوهرها ..

جوهر هذه الدعوة قائم على حقائق علمية .. وليس على  
مفهوم مثالي ..

يمكن ان نستنيد من علم النفس ، ومن قوانين علم النفس في  
تأكيد اهمية هذا الربط بين الادب والفكر .. لسبب بسيط هو : ان  
في علم النفس ، بالإضافة الى الجانب التحليلي الذي يكشف علاقة  
الجانب الشعوري من الشخصية بالجانب اللا شعوري الفردي  
والجمعي ، وهو جانب هام جدا ، هناك أيضا جانب يتعلق بنظريات  
التعلم والادراك .. في نظريات التعلم هناك ، مثلا ، المحاولة  
والخطأ .. وهناك التبصر او الاستبصار فكل تعامل جزئي مع  
الواقع سيجعل الاديب مهما كانت امكانياته الابداعية كبيرة ، كائنا  
مستلبا .. لسبب بسيط ، هو انه مغلق على ذاته ، وعلى واقع  
ضيق ، غير قادر على ان يتصل بالجماهير الواسعة .. وغير قادر  
على ان يكون صورة للامة في المرحلة الراهنة ..

فالذكر ، او الايديولوجية التي تعطي الخط العام للتطور ،  
وتربط الاديب بمرحلة النهضة كل .. هذا الربط شيء مهم من  
أجل ان يأخذ الادب شكلا مبدعا ، وشكلا يفجر ابداعا في الامة

والخلف ، والذي هيمن على الحياة العربية طيلة قرون .. لذلك فاز  
جبلة حقائق رئيسية تحكم علاقة الادب والنضال ، فالتحرر لا يكون  
شيئا جديا الا بالوحدة ، والوحدة لا تكون شيئا الا بالتحرر ،  
والتحرر تغيير لكل طاقات الامة .. فالنظرية الابداعية هذه التي  
تنكر النظرة الاستسلامية الواقعية ، والتقليد ، والبعاوية ، وكل  
ما من شأنه ان يجعل الذات مجرد « مسجلة » للواقع الجامد ،  
الساكن ، ومجرد تصوير لهذا الواقع .. هذه النظرة التي - كما  
قلت - تؤكد على الربط الجدلية الذي يذهب باتجاه جلاء الشخصية  
الانسانية ، واغنائها ، والقضاء على عوامل استلابها .. وتحقيق  
شخصية الامة ، هو اساس الربط بين الادب والنضال ..

\* في كتاباتكم تؤكدون على ضرورة ان تأخذ الثقافة  
تيارات فكرية جماهيرية . هل لنسان  
نستوضحكم اكثر حول هذا الموضوع ، لنقف  
عند ابعاد هذه الدعوة ؟

أيضا هذه الدعوة تستند الى نظرية جدلية الى علاقة الفرد  
بالمجتمع . . الى علاقة الفكر بالواقع . . الى علاقة الجانب النظري  
بالجانب العملي . . الى علاقة الجوانب الذاتية بالجوانب الموضوعية .  
فوحدة هذه النظرة الجدلية هي التي تؤكد على الثقافة اذا لم ترتبط  
بالمجاہير ، فتأخذ شكلًا محرکا لطاقاتها ، وتكون جزءا من تيارات  
حركة الواقع . . فان هذا الربط سوف يكون مهددا بقطع نسخ  
الحياة عن الادب والثقافة . فالثقافة التي لا تكون بينها وبين  
الجماہير صلة حية ، وتجابو حي ، وقدرة على التأثير ، وعلى  
الدفع ، وعلى خلق آفاق جديدة لحركة الجماہير ، سوف لا تكون  
لها الا قيمة نسبية ، وقيمة سطحية بالنسبة لحياة الامة .

فالادب الحي والفن الاصيل ، هما اللذان يحققان في هذا  
العصر – الذي نسميه عصر الجماہير ، عصر وعي الكتل الكبيرة  
من البشر في القارات الثلاث – نوعا من وحدة الوجود بين ذات  
الادب والفنان وبين هذا العصر ، وبين المشكلات المباشرة للجماہير  
التي تشكل حركتها قانونه الاساسي . وكما ان التيارات الجماهيرية

ويتعذر بيتابع الابداع التي هي ، في الواقع ، الفكرة العامة التي  
تلخص تقاطع القوانيين العامة مع القوانيين الخاصة للتطور في هذه  
المرحلة . . تطور الامة مع تطور العالم . . تطور الامة من خلال  
العلاقة بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها . .

فالعودة الى التراث ، بالإضافة الى كونها تأصيل للشخصية  
الادبية والفنية ، هي فتح آفاق واسعة لم بصيرة الاديب والفنان .  
وذلك الاطلاع على الايديولوجيات ، أي على النظام الفكري الذي  
يسرق حركة التاريخ . ويحدد طبيعة المرحلة ، هو ايضا توسيع  
لمجالات الرؤيا . وقد حاول البعض ان يجسد هذه العلاقة وخاصة  
في نشأته الاولى .

تفقد ثورتها بدون فكر ، كذلك فإن الثقافة تفقد حياتها بدون جماهير ، وبدون التعبير عن اهداف النضال الجماهيري .  
 كلما استطاعت الثقافة ان تعبر عن هذه التيارات ، وان تستشف حركة الجماهير ، أصبحت ثقافة علمية ثقافة علمية ثورية بكل معنى الكلمة . وهي لا شك سوف تكون اسيرة الطابع الذاتي للشقق اكثرا منها تعبيرا عن علاقة ذاتية — موضوعية بين المثقف والجماهير اذا اخذت شكل تيارات فكرية لا علاقة لها بحركة الجماهير . اي اذا لم يشعر المثقف بأنه جزء من كل ، وهذا الكل هو ، اولا ، سلسلة تاريخية زمنية تصله بالماضي . وبالاجداد .  
 وهو ، بنفس الوقت شمول مكاني يتصل بوطن له حدود كبيرة وواسعة هي حدود الوطن العربي ، وله ارتباط بحركة جماهيرية تعبر عن دخول الامة العربية في مرحلة النهضة . بدون هذه العلاقة ، ماذا يبقى للثقافة من ينابيع الحياة ؟ سوف تكون ترديدا لثقافات اخرى . وعندئذ تتضاءل ينابيعها بالتدرج ، لان علاقتها بهذه الثقافة علاقة خارجية طالما انها لا تعيش في المجتمع الذي افرز تلك الثقافة . فلا بد اذن ان تنضب ، وبالتالي ان تعيش عزلة مزدوجة وان تفقد الصلة بالواقع الذي تعيش فيه ، وبالواقع الذي نقلت منه ثقافتها .

\* \* \*

في مقالة للاستاذ ميشيل عفلق يذهب مؤكدا :  
 « ان حركة البعث العربي لا غنى لها عن فلسفة عامة في الحياة . . . فهي حركة تقدمية ، تحررية ، وهي بذلك حركة عميقة تتصل بالمفاهيم الإنسانية » . وعلى هذا فان الاستاذ ميشيل يشدد على انه « لا بد للحركة من نظرة إلخاقية ، ونظرة فلسفية عامة في الكون وفي الإنسان » .

ترى ، على اي نحو يمكن تمثل هذا على صعيد الابداع . في الادب والفن ، لكي نصل الى ادب وفن يتصلان ، بدورهما ، بجوهر هذه النظرة الى الكون والانسان ؟

هذا النص الذي ورد في مقاله « الحركة الفكرية الشاملة » يمكن ان تبين — الى جانبه — في الفترة نفسها ، فترة الخمسينيات ، تعبيرا آخر للقائد المؤسس يقول فيه بأن فلسفة البعث تتلخص في الكلمة التالية ، وهي : « ثقة الامة العربية بنفسها » . فهنا لا يقصد بالفلسفة « النظام الفلسفي » . لا يقصد بها « الصيغة الفلسفية المغلقة » على غرار الفلسفات المعروفة في تاريخ الفكر الفلسفي ، والتي انتهت « كارل ماركس » الى ان وصفها بالبؤس ، وبأنها باسئة ، لأنها تنتهي بصياغة وصفية ، ولا تشکل دليلا للعمل .  
 كارل ماركس اراد ان يحول الفلسفة الى دليل عمل ، فكانت

تعبرا عن هذه الفلسفه ؟ فقد سبق واشرنا الى ان الادب اذا ارتبط بالايديولوجية العربية الشوريه ، فإنه يكون قد ارتبط بالاتفاق النظري والعملية لحركة الجماهير العربية ، فباتصاله بالاهداف المحركة للنضال الجماهيري في الوطن العربي، اهداف الوحدة والحرية والاشتراكية ، يكون قد اتصل ببنابع الابداع والحضارة التي تكمن في المرحلة التاريخية الراهنة ، بالنضال الوحدوي ، يسكن له ان يكشف عن فلسفة الامة العربية في هذه المرحلة ، وهي فلسفة ذات طابع حضاري ، فيها جوانب خلقية ، الا ان فيها أيضا ، نظرية علمية الى هذا العصر ، لأن هذا العصر هو عصر الوحدات والمجتمعات .

كذلك الامر ايضا على صعيد الاشتراكية ..

صحيح ان الاشتراكية هي حل لمشكلة التناقض الطبقي ، وحتى لمشكلة التخلف على صعيد المجتمع العربي ، الا انها ، في نفس الوقت ، ليست مجرد تعبير عن حاجة .. هي عملية ربط لامامة العربية بالعصر الذي تعيش فيه ، والذي هو عصر الاشتراكية .. فهناك تخلف يكون مزدوجا ، عن الماضي القومي وعن حاضر العالم ، اذا بقينا ضمن اطار النظام الرأسمالي ، والتطور الرأسمالي ..

فالاشتراكية كهدف تتضمن فكرة المعاصرة أي الاتساع الى العصر ، كما تتضمن فكرة الاتساع الى العالم الجديد ، العالم

«المادية التاريخية» ، الا ان كارل ماركس بقي ضمن اطار «الصينية» (المادية الجدلية) .. ضمن اطار «المذاهب الفلسفية» .. المترنة جزئيا بالعلم وبالعمل من اجل تغيير الواقع الاجتماعي ..

«فکر البعث» خرج من اطار «الصين الفلسفية» المغلقة . فلسفته تتلخص في : نظرية شمولية الى الامة العربية . فالامة العربية امة واحدة ، ولها قضية في هذا العصر ، هي ، أيضا ، قضية واحدة متعددة المفاسيم . فقضيتها هي الوحدة ، وهي الحرية ، وهي الاشتراكية ..

هذه النظرية الشمولية اقترن بتحليل لبنيه الواقع العربي ، وللتناقضات الاساسية التي تشكل هدف النضال العربي الان : تناقض التجزئة يطرح هدف الوحدة ، تناقض الاستغلال الطبقي يطرح الاشتراكية ، تناقض التخلف ، أيضا .. تناقض الاستعمار والصهيونية يطرح فكرة الحرية ، وهذه التناقضات ليست منعزلة عن بعضها .. لذلك فالقضية العربية واحدة ، وبالتالي : فان وحدة الشمول والتضمن (المحتوى) .. وحدة النظرة الشاملة مع النظرة التحليلية الداخلية العميقه .. النظرة التركيبية القائمة على نظرة تحليلية تعتمد منهاجا جديلا علميا تاريخيا .. هي ، في الواقع ، ما يلخص فلسفة البعث ..

اما كيف نعبر عنها على صعيد الادب ؟ كيف يكون الادب

خاص يجعل الامة العربية بمجرد وعيها للتجزئة تتحرك باتجاه  
الوحدة ، وتتاضل ضد التخلف باتجاه التقدم .. ضد الاستعمار  
والصهيونية باتجاه التحرير وباتجاه التحرر .  
اذن هناك حركة ما ..

هذا الرابط بين حركة العالم وحركة الامة هو ما يشكل  
الفلسفة التي يمكن للأديب العربي ، من خلالها ، أن يكون انسانا  
عربيا ، ومعاصرا ، مبدعا ..

الاشتراكي ، وكذلك فكرة الاتساع الى عالم الثورة الجديدة في  
العالم ، ثورة الامم الكادحة المناضلة من اجل الحرية والوحدة .

أيضا ، على صعيد الحرية والتحرر . هنا ، أيضا ، سوف  
لا يكون الاديب قادرًا على التعبير عن فلسفة الامة العربية اذا هو  
اكتفى بهذه التحرر القطري ، لسبب بسيط ، هو : ان الاستعمار  
 قادر على ان يطوق هذا التحرر . التحرر الوحيد الذي لا يستطيع  
الاستعمار ان يستوعبه هو تفجير طاقات الامة العربية عن طريق  
النضال .. أي هدف التحرير .. وهدف الثورة الدائمة في حياة  
الامة العربية للقضاء على كل التناقضات الاساسية التي تؤدي الى  
استباب الشخصية العربية على الصعيدين الاجتماعي والانساني  
الفردي .

أيضا ، نلاحظ هنا ان فلسفة الامة العربية يمكن ان تتعكس  
في الادب من خلال هذا الرابط بين نضال الجماهير العربية ، وآفاق  
هذا النضال .

الفلسفة هي استشراف .. هي بصيرة للأديب ،  
وللحماهير ، وللامة ككل . فالادب يعكس فلسفة الامة العربية  
كلما استطاع ان يعكس حركة الواقع العربي .. وحدة هذه الحركة  
وعمقها ، وان يرتبط بهم عيق لقوانين هذه الحركة . هناك قانون  
عام يجعل العالم يتوجه باتجاه الثورة التكنولوجية . هناك قانون

\* للحزب نظرته الوحدوية ومفهومه الاشتراكي.  
ولا شك ان ما يقتضي بنتاج الاديب البعضي هو  
ان يعبر عن هذه النظرة ، وينطلق من هنا  
المفهوم . فهل لكم ان تحددوا لنا ، وبشيء من  
التركيز ، نظرة الحزب الوحدوية ، ومفهومه  
الاشتراكي ؟

الواقع ، ان مفهوم الوحدة والحرية والاشتراكية في الحزب  
قد خضع لتطور . فهو ليس صيغة جامدة ، لسبب بسيط ، هو  
ان منهج فكر الحزب ، بالأصل ، كان منهجا جديلا علميا تاريخيا .  
لم يكن جدلا فلسفيا ماديا ، بالمعنى الفلسفي المغلق ، انا كان منهجا  
جدليا علميا تاريخيا ، لذلك ، منذ عام ١٩٥٠ ، يحاول الرفيق القائد  
المؤسس في مقالته : « النظرة الحية الى الحزب » ان يشدد على  
ضرورة النظرة الحية الى الفكر والتنظيم ، والنظرة الحية الى الحياة ،  
وتجنب الصنمية : الصنمية في الفكار ، والصنمية في المواقف ،  
وفي الانطباعات عن الاشخاص . لذلك فان مفاهيم الوحدة  
والحرية والاشتراكية اغتنمت بالتجربة العربية خلال تطورها ، لسبب  
بسيط ، هو ان فكر البعث . آيديولوجية البعث لم تفصل عن  
استراتيجياته ، ولا عن تكتيكاته ، ولا عن تنظيمه ، ولا عن معاناته  
اليومية . ومن هنا كان اغتناؤها بهذا النضال باستمرار .

المهم . والشيء الاساسي في الموضوع هو ان المفهوم العلمي

الثوري للوحدة العربية الذي انطلق منه البعث . قد انقضها من  
الطوباوية ، وذلك يربطها بمفهوم طبقي ثوري .<sup>٠٠</sup> بمعنى ان الوحدة  
هي ثورة اشتراكية .<sup>٠٠</sup> هي ثورة جماهير وحدوية وهو قد ربط ،  
أيضا ، الاشتراكية بالوحدة ، لأن « الاشتراكية القطرية » لا يمكن  
ان تكون ثورية ، ولا يمكن ان تكون واقعية .<sup>٠٠</sup> فعلمنا هو عالم  
القطاعات الكبرى .<sup>٠٠</sup> لذلك لا يمكن ان تتحقق الاشتراكية  
ضمن اطار اقتصادي ضيق . هذا شيء من طبيعة العصر ، وبالتالي ،  
 فهو شيء مقر علميا ، وهو الذي يدفع اوربا لأن تصبح وحدة  
الاقتصادية ، وهو ذاته الذي يدفع قارات ( كأمريكا اللاتينية ،  
وافريقيا .<sup>٠٠</sup> وأيضا في شرق آسيا ) للتقتيش عن مجالات كبرى  
لتتصنيع ، وللتسويق .<sup>٠٠</sup> فالصناعة والتتصنيع وتطور التكنولوجيا  
يفرض هذه الاطر الواسعة للحياة الاقتصادية . لذلك فان معطيات  
الواقع القومي وال العالمي ، والتحليل العلمي الجدلية التاريخي لهذه  
المعطيات ، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، تؤكد ان مفهوم  
الحزب الوحدوي الاشتراكي هو مفهوم علمي جدلية تاريخي ،  
يأخذ بعين الاعتبار ان الوحدة ضمن اطار الحياة المعاصرة لا يمكن  
أن تتحقق بدون جماهيرها الوحدوية التي هي وحدها صاحبة  
المصلحة الاشتراكية وهي وحدها الضامنة للحرية .

فالمفهوم العلمي الثوري للوحدة والحرية والاشتراكية هو  
الذي انقض هذه المفاهيم من النزعة التجريبية التي تحاول ان تسير

بنضال ليس له خلية فكرية .. وكذلك ، انقد الفكر العربي من النزعة الفلسفية الجامدة التي يجعل كل تفسير لحركة الواقع ضمن اطار مقولات نظرية معدة سلفاً .. تسبق الواقع وتفرض نفسها عليه .. فهي اشبه بالقوالب ..

فكرة البعث استطاع ان يتجاوز هذين المستويين السابقين اللذين كانا يحولان دون الرؤية العلمية الثورية للواقع العربي .. فالوحدة الآن هي محرك للنضال ، وهي هدف لهذا النضال .. فهي ليست تنسيقاً للتجزئة .. هي خلق جديد .. خلق المجتمع العربي ، والنفسية العربية ، وعقلية الوحدة ، ونفسية الوحدة الجديدة ..

وكذلك فيما يتعلق بالاشتراكية .. هي رؤية تقدمية، معاصرة، حديثة ، تأخذ بعين الاعتبار البنية الطبقية للواقع .. فالمفهوم القومي الطيفي .. المفهوم القومي الثوري هو الخلاصة المركزة لفكرة البعث، كما كشفت عنه كتابات الحزب وتراثه الفكري ، والكتاب التي حاولت ، بنفس الوقت ، أن تستعرض تطور هذا الفكر ، وتشير إلى آفاق تطوره في المستقبل ..

\* هذه النظرة الشمولية(الواقع والمجتمع والامة) التي توفر عليها فكر البعث .. يبدو ان الادب والفن لم يتوصلا اليها بكامل ابعادها .. برأيكم ما هو السبيل لأن نجعل منها موضوع استقطاب : ادبي وفني ؟

اذا اخذنا نشأة فكر البعث في المرحلة التي سبقت ١٩٤٠ (لاننا نعتبر المرحلة بين ١٩٤٠ و ١٩٤٧ هي مرحلة التمهيد ) مع هذه المرحلة التمهيدية بدأ وحدة الفكر والممارسة .. اما قبل ١٩٤٠ فاننا نلاحظ انه لم تكن قد نضجت عوامل بداية حركة البعث .. لذلك كان هناك فكر مطروح بدون نضال منظم يقترب بهـا ويجسدـها .. كما نلاحظ ان هناك طابعاً اديرياً على كتابات الحزب، موجود في كتابات الرفيق القائد المؤسس .. وهذه الكتابات كانت لها صبغ تعطي مؤشرات لفكر تقدمي .. لفكر قومي .. لكن ، ليس فيه تبلور واضح بمعنى الايديولوجية المتكاملة ..

عندما تبلور هذا الفكر عبر المعانة ، ودخل مرحلة الارتباط بين الايديولوجية والستراتيجية والتكتيـك ، لاحظنا ان الاهتمامات الادبية قد تراجعت ، وحلت محلها المشاغل السياسية .. مشاغل النضال .. ولم ينشأ جيل من الكتاب الادباء ومن الفنانين في البعث يستطيع ان يواكب هذه الحركة السياسية النضالية ، لانها كانت متسرعة ، وكانت تأخذ كل اوقات المناضلين .. حتى صاحب

الموهاب الادبية نلاحظ ان موهبته اصبحت جزءا من هذا التحرك الشامل . فالنضال العملي ، و حاجات هذا النضال ، و متطلباته لم تكن تسمح بهذا النوع من الفرص الالازمة والكافية للتأمل ، ولصياغة التجربة النضالية صياغة ادبية و فنية . واعتقد ان قسما من هذا التخلف عن مواكبة حركة النضال اليومية سببه ان الادباء خارج الحركة الثورية . . . خارج الحركة النضالية ، ما يزالون يشكلون نسبة كبيرة جدا . هناك موهاب كثيرة تذهب دون ان تصب على هذه الحركة الجماهيرية النضالية في الوطن العربي . لذلك فان العلاج يكون بمعرفة السبب .

والسبب لا يكون دوما في الادباء والفنانين ، بل قد يكون أيضا في السياسيين والاحزاب السياسية التي لا تضع الادب والفن في صلب اهتماماتها .

كيف تتيح لاكبر عدد ممكن من اصحاب الموهاب ان يكونوا جزءا من هذه الحركة ؟ وهنا تكون لنا مشكلتين :

- مشكلة راهنة تتعلق بمن اصبحوا ادباء ..

- ومشكلة مستقبلية بمن سوف يصبحون ..

ولكل واحدة طريقة في المعالجة تختلف عن الثانية ..

بالنسبة للمستقبل بأن ننتبه الى التربية ، و ضرورة تصحيح

مناهج التربية والنظام التربوي ، بحيث يؤمن هذا الربط ولو  
بشكل جنوني ، بين صاحب الموهبة الادبية وبين حياة الجماهير  
ونضالها . أما بالنسبة للجانب الاول - اعني الادباء الجاهزين الان  
البعيدين بموهبيهم عن الحياة السياسية - فيجب ان نهيء لهم  
الفرص لكي يمارسوا هذا الربط من خلال الاتصال المباشر  
بالقضايا الاساسية للقتال الجماهيري ، وان يدركون ان من  
مصلحتهم ، كأفراد ، ان يربطوا فكرهم ونشاطهم الادبي بحركة  
الامة . وعندئذ يمكن ان تتحقق لهؤلاء وللامة ، افضل النتائج .

ان كل اديب وفنان يملك هذا الاستعداد . والمهم ان نفهم  
الانسان فيما حتى تتمكن من دفع الاستعداد الى حدود  
الالتزام .

ولا التفتيش السهل والاتساب الى حضارة معاصرة فقدت ، او  
كادت تفقد رسالتها الحضارية .. بل بقي المنظور الثوري هو  
الاساس في تصور العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن  
هنا اكتسب الحاضر كثافة خاصة في مفهوم الثورة العربية ، لأن  
نقطة الالقاء بين سلسلتين من جدلية ما تصنع للمراحل التاريخية  
ولمسيرة التاريخ ، وهما : العوامل الموضوعية ، والعوامل الذاتية .

وبهذا المعنى فان الثورة العربية هي استيعاب لهذه العوامل  
من اجل وضع قوى الامة العربية الكامنة والمهدورة  
والمسلوبة ، في حالة مخاض جديد تنتج عنه ولادة مرحلة جديدة  
من التطور ، تجدد ، من خلالها ، الامة العربية ذاتها ، وتجاور  
او ضاعها ونفسها بحل التناقضات الاساسية الكامنة فيها وفي هذا  
الواقع ، حتى تستكمل القدرة على التعبير عن شخصيتها الحضارية ،  
ويستكمل الواقع العربي شروط وحدته وحرفيته ونظامه الاشتراكي .

فمن هذا المنظور يكون مفهوم الثورة العربية اساساً  
للايديولوجية العربية الثورية ولاستراتيجيتها ، وحتى لخطتها  
المرحلية الظرفية .

#### \* كيف تعبرون عن الثورة العربية كحقيقة حضارية ، وكجوهر لايدلوجية ثورية ؟

- يندرج مفهوم الثورة العربية ضمن اطار المفاهيم الجديدة  
للثورات التحررية بعد الحرب العالمية الثانية ، التي ظهرت مرفقة  
وممهدة لتجارب التحرر القومي في القارات الثلاث ، الا ان مفهوم  
الثورة العربية ، بالرغم من كونه جزءاً من تيار عام عالمي ، فأنه  
يكتب خصوصية تميزه وتجعله يتمتع بسبق زمني ، وببعد  
حضارى ، لانه كان تبييناً عن بدء تبلور لافكار مرحلة النهضة  
العربية التي بدأت بوادرها منذ نصف القرن السابق .. لذلك فان  
مفهوم الثورة العربية يعبر عن معاناة فكرية وعملية تمتد على ما  
ينيف عن فرز للامة العربية ، وهي معاناة تستدعي الصلة بقطبين  
أساسيين للحياة ولشخصية العربية ، وهما : ماضي الامة نفسه ،  
وحاضر العالم المعاصر .. أي بين مرحلة الانحطاط الراهنة وبين  
حضارة الامة في الماضي .. ثم بينها وبين العالم الذي يفتح اليه  
عن حضارة جديدة ، لذلك كان لابد لمفهوم الثورة العربية ان  
ينطوي على بعد حضاري .. يستوعب حاجات النهضة العربية في  
المرحلة الراهنة ، ويستوعب الصلة الحضارية بالماضي والمساهمة  
الحضارية في بناء الحضارة الجديدة لعالم اليوم ..

الا ان « المنهوم الحضاري » للثورة العربية هو ، بدوره  
مفهوم ثوري .. لذلك فهو لا يعني العودة الآلية الى حضارة الامم ،

\* ومن هنا اكتسب «البعث» خصوصية نظرته،  
\* التي اختلف فيها عن الطروحات الأخرى؟

— في بداية نشوء الحزب كانت المسافة كبيرة جداً بين نظرية  
البعث للتراث وبين نظرية الايديولوجيات التي كانت قائمة قبل نشوء  
الحزب . (الايديولوجية الدينية ، والايديولوجية الماركسيّة )  
والحاضرية التي اقيمت في حلب عام ١٩٥٥ حول «نظرتنا الى التاريخ  
العربي» تشكل وثيقة تاريخية ، بالإضافة الى الكتابات التي سبقتها  
منذ محاضرة «ذكرى الرسول العربي» (عام ١٩٤٣) ، الا ان  
هذه الفروق ضاقت بسبب القوة التي اكتسبتها افكار البعث ، جراء  
التطورات الفكرية وتطور التجارب في العالم الاشتراكي . وفي  
العالم الثالث ، التي جاءت معززة لتلك الافكار ، ولنظرتها الجدية  
العميقة للعلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل على الصعيدين  
القومي وال العالمي .

الا انه بالرغم من هذا التطور الايجابي الذي جعل الاهتمام  
بالترااث شيئاً أقرب الى البديهيات ، وكذلك الانفتاح على التطور  
ال العالمي في النظرية والتطبيق ، فان البعث ما يزال يتميز بخصوصية  
يمكن ان نوجزها بكلمة «منظور حضاري» الى الماضي والى  
المستقبل . فنقطة الافتراق بينه وبين النزعات التقديمية الاممية  
هي اعتباره ان الترااث ليس فقط ينبعوا من المعرفة ، او مجرد بعد

تاريفي لابد من الاستئناس به والرجوع اليه ، وليس «حافظة»  
للذكرى او عبرة للتذكر ، بل هو حياة . فنحن امام التراث كمانحن  
امام مراحل حياتنا وتطورنا منذ ولادتنا حتى اللحظة الراهنة ، وحتى آخر  
ومضة من حياتنا في المستقبل . فهو امتداد لشخصيتنا في الماضي ،  
كما سيكون المستقبل استطالة لحياتنا الحاضرة . فالمسألة لم تعد ،  
حسب هذا المنظور ، مسألة حاجة الى اطلاع على التراث ، أو  
استيعابه بالذهن ، بل هي مسألة كيف نعيش هذا التراث ، لأن  
الانقطاع الذي حدث هو بتر للشخصية القومية . وسوف يبقى  
الانحراف في الشخصية القومية ما لم نعش التراث من جديد بنفس  
الروح التي ابدعته . أي بالروح الثورية التي تجد لها في واقعنا  
القومي الراهن كل الشروط والد الواقع والاهداف لكي تتحقق  
وتبدع ، عن طريق القراءة الثورية لتراثها الماضي ، تراثاً جديداً  
لا يقل روعة ، ولا تقل الحضارة الانسانية الحديثة حاجة اليه من  
الحضارة الانسانية قبل ثلاثة عشر قرناً .

كذلك الامر في الطرف الآخر المتعلق بحاضر ومستقبل البشرية  
اليوم فتراثها يشكل نقطة جذب لمفهوم الثورة العربية المعاصرة ،  
الا انه جذب بالمعنى الحضاري ، لأن التفاعل مع الحضارة من  
موقع الانحطاط انكفاء وتردد ، وعبء مزدوج على الحضارة وعلى  
الانحطاط معاً . لذلك فان التفاعل الحضاري العالمي يحتاج الى  
عمليات صمود حضارية . ومن هذه الزاوية كان مفهوم النهضة

\* يربط البحث ، دائماً ، بين هذه الثورة ، كحقيقة وجوهها ، وبين وجوب انطلاقها من القاعدة الجماهيرية ، لماذا ؟ وكيف ؟

ـ من هم الثورة العربية يرتكز إلى فهم جديد للواقع وللشخصية العربية قائم على منهج فكر جديد ساعد على الانتقال من مرحلة إلى مرحلة جديدة . منهج الفكر الجديد هذا هو المنهج العلسي الجدلية التاريخي الذي يتميز عن المنهج الفلسفية الجدلية وعن مناهج الفكر التقليدية الصورية في كونه ينطلق من تحليل بنية الواقع العربي ، وواقع الشخصية العربية الراهنة من أجل تحديد المرحلة التاريخية لتطور المجتمع العربي ضمن إطار التطور العام للعالم . وقد كانت الشارة الأولى لتطبيق منهج جديد كهذا هو اكتشاف « الذات العربية » من جديد ، واكتشاف العلاقة الجدلية بين جملة التناقضات الراهنة في المجتمع العربي وتحديد مهنة التطور التي تسرب بها الأمة العربية ، ومرحلة النهضة . لذلك كان مفهوم الثورة العربية مفهوماً علمياً جديداً تاريخياً نابعاً من مهانة داخلية ابنتها من حركة الجماهير العربية نفسها . لذلك فإن الجماهير العربية في وعيها لتناقضات واقعها ، وفي تحديدها لأهداف نضالها إنما تنضح مفهوم الثورة العربية الذي هو مفهوم منفتح متتطور مفتاح بالخبرات الجديدة ، وبالدروس المستقاة من نضال الجماهير العربية نفسها ، فالجماهير لم تعد ، حسب المنهج العلسي الجدلية التاريخي ، مجرد كم ، ولا مجرد علاقات موضوعية

العربية هو الجسر الذي يصل واقع الأمة العربية بالتقدم الحضاري المعاصر . ومن خلال ذلك يت畢ن البون الذي ما يزال شاسعاً ، والاختلاف النوعي في نظرية الأيديولوجية العربية الثورية إلى كل من الماضي والمستقبل ، لأنها نظرة ترفض الانغلاق على الماضي ، كما ترفض أن تكون عبئاً على مستقبل الحضارة ، ترفض قول ( ابن المقنع ) : « ما ترك الأول للآخر » ، وتنسجم مع قول الجاحظ : « كم ترك الأول للآخر » . ترفض النظرية التي تحجب الواقع ، لأنها تكون نظرتها الثورية الحضارية من خلال استيعاب تناقضات هذا الواقع مع ماضي الحضارة ومستقبلها ، في آن معاً ، فهي لا تنطلق من الماضي المستقل عن حركة الزمن ، وترفض أن يكون الماضي هو قطب الزمن . كما ترفض ، في الوقت نفسه ، أن يكون المستقبل مقطوع الجذور عن الماضي . لأنها ترفض الذكرى التي تجدد الحياة ، وترفض الخيال الذي يقيها في الحلم ، فالحاضر هو مركز اهتمامها ، والصلة الجدلية بين أطراف « المعادلة الزمنية » هي الأساس ، وشفافية الفكر في تعبيره عن المرحلة التاريخية والواقع القومي الملاوس والمشخص هو الأساس ، وهو الجوهر الذي تقوم عليه .

\* وما الفرق عندكم بين ان تكون هذه الثورة  
انطلاقا من قاعدة جماهيرية ، وبين ان تكون  
« فكرة » تنتقاها هذه القاعدة ؟

ـ الفرق هو تماما كالفرق بين الانسان والآلة في علاقتها  
بالمعرفة . الكومبيوتر في عالمنا المعاصر يختزن من المعرف ما يسمح  
له بأن يصبح « عقلا الكترونيا » . والعقل الالكتروني يتغذى  
بالمعلومات ، الا انه لا يتمثلها . لذلك فهو لا يستطيع ان يدعي  
شيئا جديدا . يستطيع ان يختصر ، وان يكثف ، وان يلعب دورا  
مذهلا في تركيب العناصر التي تحفظ بها ذاكرته ، الا انه لا يستطيع  
ان يساهم في تطوير وفي ابداع المفاهيم ، لانه « وعاء للمعرفة » .  
وعلاقته بمحتوياته علاقة آلية بحثة .

والنظرية التي تهبط على الافراد من فوق تحولهم الى شيء  
 شبيه بهذا « الكومبيوتر » . هذا في احسن الاحوال . فالافكار  
تحول الى الفاظ ، والمفاهيم تحول الى شعارات ، والوعي يتحول  
 الى الذاكرة ، وحركة الفكر تحول الى نصوص ، والتوتر الذهني  
 يتحول الى آلية التكرار ، والافتتاح على المعرفة يتحول الى انفلاق  
 وتعصب ، ويموت الحس النقدي وتقتل الموهبة ، تماما كالمطرار  
 في غير موسمها ، وكالافكار التي تحجب الواقع ، وكالاشجار التي  
 تحجب الغابة . فالافكار كالاشجار ، جذورها في الارض وليس  
 في الهواء . لذلك فان هناك فرقا بين عملية الزرع وعملية التطعيم ،

تحكم ارتباط طبقاتها وفئاتها وافرادها ومؤسساتها ، او تحكم  
ارتباطها بالطبيعة ، بل اصبحت الجماهير طاقة نضالية عطلتها ظروف  
التجزئة والتخلف والاستعمار والصهيونية والاستغلال الطبقي ،  
لذلك فان فكر الثورة العربية ليس الا عبيرا عن ضيق هذه  
الجماهير العربية بهذا الوضع المتناقض مع حقيقتها التي عبرت عنها  
في الماضي بشكال ما تزال راسخة في ذاكرة البشرية وفي ضمائر  
أبناء الامة العربية ، كما ان فكر الثورة العربية يعبر ، بالإضافة  
إلى هذا الضيق بالواقع المتناقض والتمرد عليه ، عن وعي لا سباب  
هذا التناقض ، ولا هدف النضال من أجل تجاوزه .

اذن ، لا يمكن ان تتصور ، بشكل من الاشكال ، مفهوم  
الثورة العربية مجرد عن هذه المعاناة الجماهيرية . فهو ليس نظرية  
 مجرد ، او منقوله من سياق تاريخي آخر ، او مجرد ثقافة يمتلكها  
 عدد من المفكرين ، بل هي مخاض يشهد يقطة بعد غفوة وغيوبة  
 طويلتين عنجرى التاريخ الحي ، ومعاناة تاريخية يشترك فيها  
 بعد التاريخي مع الزمن الحاضر مع التطلعات الى المستقبل ،  
 ويتدخل فيها الشعور الجماعي باللاشعور والوعي بال بصيرة ليتألف  
 من ذلك كله ولادة جديدة للشعب العربي والامة العربية . ولادة  
 نضالية تحققها الجماهير العربية الكادحة بنضالها ل تستعيد دورها  
 في الحياة الانسانية ، و تستأنف مسيرتها الحضارية عبر التاريخ ،  
 فمفهوم الثورة العربية هو تحقيق الذات العربية ، والجماهير هي  
 ما في هذه الذات من طاقة جديدة مبدعة .

الافكار تولد ، كأي كائن حي ، لذلك لابد ان يكون هناك من شروط التكين ما يتلاءم مع حاجات نمو الكائن ، لذلك شدد فكر الثورة العربية على المعاناة .. على الانبعاث من الداخل .. على ابتكاق الفكر من النضال ، حتى تكون الصلة بين الفكرة وبين حاملها كالعلاقة بين الام و طفلها .. حتى تكون لنا ، نحن العرب ، افكار وصلنا اليها بالجهد والتعب والمشقة .. حتى تكون افكارنا وحتى يكون التزامنا بها مصيريا ، وحتى تكون هذه الافكار جزءا من عملية انبعاث الشخصية العربية من جديد .

منذ عام ١٩٤٣ اعتبرت حركة الثورة العربية رفض الفكر المجرد شرطا للتخلص من امراض ثقافية كانت تجعلنا نظر الى امتنا العربية وواقعها « نظرة غريبة » ، اي نظرة الانسان المستعمر .. نظرة الانسان المسلوب الشخصية .. كما اعتبرت رفض التفكير المجرد شرطا لاكتساب نوع جديد من الثقافة ، هي الثقافة النابعة من القاعدة ، من التراث بمفهومه الثوري الحضاري ، ومن النضال بمفهومه الوحدوي التحرري الاشتراكي ، ومن التفاعل الحر مع الثقافات الثورية والحضارية في عالمنا المعاصر .

\* كان ميلاد الحزب ، بفكره هنا في وجود تيارين :  
تيار فكر عصر النهضة الاصلاحي ، والفكر الماركسي الذي كان يأخذ امتداده . كيف كان موقفهما ؟ وكيف ميز الحزب نفسه عنهما ؟

- نظر التيار الجديد الذي يعتبر جنين الايديولوجية العربية الثورية الى هذين التيارين نظرة نقدية تنطوي على جانب ايجابي النظرة الحديثة المعاصرة الثورية في التيار الاشتراكي .  
يتمثل بالتعاطف مع النظرة التراثية في فكر عصر النهضة ، ومع

الا ان هذا التعاطف بقي ضمن حدود ، لأن التيار الجديد ،  
تيار الفكر القومي التحرري الثوري قد اكتشف طريقا جديدة ،  
كشفت له جوانب النقص الاساسية في التيارين السابقين ، وال الحاجة  
الى تجاوزهما الى نظرة اكثرا علمية وجدلية وافق تاريخي ، لذلك  
طرح التيار الجديد مسألة التراث طرحا جديدا ، وكذلك ، أيضا ،  
حدد منظورا جديدا للاشتراكية ، أساسها النظرة الجديدة الى الامة ،  
والى العالم . لذلك كان لابد ان تكون هناك نظرة جديدة الى  
التراث ، اي الى بعد التاريخي لحياة الامة . ومنظورا جديدا  
للاشتراكية اكثرا عمقا في استجلاء واقع الامة العربية الراهن ، وصورة

العالم المعاصر . . . هذا العالم الجديد الذي ولدته الحرب العالمية الثانية ، والذي يفتش عن حضارة جديدة .

فاساس النظرة الجديدة الى الامة والى هذا العالم هو : التحول عن النظرة الخارجية الى الامة ، والاعتماد على المفاهيم العربية . . . أي وعي المرحلة التاريخية العربية ووعي مشوها ، والدخول في طور جديد هو : النظر الى الامة من داخلها بعين عربية مفتوحة على العالم ، الا انها ثابتة في محاجرها . . . أي : وعي الذات العربية عبر اكتشاف هذه الذات وليس عبر تطبيق الصور الغربية للحياة .

وقد كان التياران ، الليبرالي والاشتراكي ، متأثرين الى حد بعيد بالنظرة الغربية . لذلك لم يتمكنا من اعطاء مفهومي الحرية والاشتراكية بعدهما القومي التحرري . . . ولم يتمكنا من ربط هذين الهدفين الاساسين بجذورهما الاجتماعية والقومية . . . أي تناقضات الواقع العربي وشبكة العوامل التي تجعل من المرحلة العربية جسر انتقال بين عصرين لlama العربية : عصر الانحطاط وعصر النهضة . . . وفشل التيار الاصلاحي التقليدي في تحقيق الموازنة بين نظرته الى الماضي ونظرته الى المستقبل ، كما فشل التيار الاشتراكي الطباوي الاممي ، بالرغم من كل ما اسبغ على نفسه من صفات

٢٤٠

العلمية والثورية ، فيربط الفكرة الاشتراكية بمسيرة النضال العربي . فكان لابد من ان تطرح مرحلة التطور في هذا النضال العربي ، في مرحلة الأربعينات ، الحاجة الموضوعية الى تجاوز التزعتين اللا قومية اليمينية ، والا لا قومية اليسارية . فكان المفهوم القومي اليساري ذو الطابع العلمي الثوري الحضاري الذي يستدعي الماضي ويضع التراث في صلب عملية الانبعاث في الحاضر بدل ان يعود الى الوراء عودة منكفة تشكل عيناً مزدوجاً على الماضي والمستقبل .

٢٤١

وبقطاعات كانت على هامش حياة الحزب .. فبدأت تدخل الى مركز حياته .. كالقطاع الفنى ، ونضال المرأة .. وقد كان للسسة الاساسية التي يتميز بها فكر البعث ، وهي: نظرته الحية الى الحزب ، ونظرته العلمية الثورية الى فكرته نفسها ، وایمانه العميق بالطاقات المختبرة التاريخية في الجماهير العربية .. كل ذلك قد جعل النظرة النقدية الحية نشيطة داخل حركتنا التاريخية ، كعامل في كشف جوانب الخلل في العلاقة بين الفكر والتطبيق .. بين المعاشرة الفكرية وبين الممارسة العملية .. لذلك فان تطور الحزب يؤشر ، في خطه العام ، عملية اغناء دائمة للتجربة الفكرية والعملية للحزب ، وتجعل من تطوير النضال واساليب النضال ، على الصعيدين الايديولوجي والسياسي ، ينبعوا واحدا لكل الروايد المتعددة التي تعنى بها حياة الثورة العربية ..

٢٤٣

\* العلاقة بين الفكر الثوري والعمل الثوري ، في تجربة الحزب النضالية .. كيف كانت بالامس؟ وكيف هي اليوم؟ وهل حصلت متغيرات اساسية في هذه العلاقة؟

- طبعا هناك تبدلات ناجمة عن طبيعة التطور الذي مر به الحزب ، من حركة يغلب عليها طابع العمل الفكرى الى حزب سياسى وجد نفسه تحت ضغط الظروف القومية المسارعة مسؤولاً عن السلطة .. وحاكمها في اكثرا من قطر .. فالانتقال من هذه المرحلة الى المرحلة الجديدة هو الذي جعل الحزب يتلمس اكثرا في مؤتمراته القومية ، تحقيق الصلة بين الايديولوجية والاستراتيجية والتكتيك .. كما ان تجربة الوحدة والانفصال قد جعلت الحزب يتمثل أكثر بموضوع الصلة بين «الفكرة القومية» و «التنظيم القومي» .. كما ان المؤامرات التي تعرض لها الحزب بعد ان لمست الامبرialisية والصهيونية والرجعية العربية خطر الحزب على وجودها ومصيرها في الوطن العربي ، قد دفعت الحزب الى ان يركز اهتماماته على ضرورة واهية التخطيط للمستقبل والتوجه نحو الدراسات السوسيولوجية التحليلية .. وكذلك التطوير في الاساليب والوسائل التنظيمية حتى تكون خطواته السياسية ، وصلة الطليعة الثورية بالجماهير متكافئة مع الاخطار التي يواجهها الحزب .. كذلك نلاحظ بدء اهتمام الحزب بتطوير نظرته واهتمامه بالناحية الاعلامية

٢٤٣

\* وماذا أعطى هذا التبدل لحركة الثورة العربية،  
على صعيدها كحركة ، اولا ، وعلى صعيد  
تطورها في مسارها الواقعي ، ثانيا ؟

ـ اذا حاولنا ان نرسم خطاباً يبيانا لتطور الحركات السياسية  
في الوطن العربي ، منذ الثلاثينيات حتى اليوم ، نلاحظ بروز ظاهرة  
 موضوعية تلقت النظر ، وهي ان حركة البعث تشكل ، بالرغم من  
 كل ما اتباهها من ازمات في نموها وتطورها ، الحركة الوحيدة التي  
 تحفظ بحركة صعود . وقد عكست هذه الظاهرة على حركة البعث  
 كل صور التطور العام للحياة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ،  
 وجعلت من هذه الحركة نموذجاً ، او عينة تقاد تكون ممثلاً تمثيلاً  
 علياً لحركة الثورة العربية بوجه عام .

وإذا كانت عبارة «الثورة العربية» المتدالة في قاموس العمل  
النضالي والسياسي في الوطن العربي ، تستدعي الى الذهن بصورة  
 آلية حركات : البعث والتآزرية والتجارب التحريرية ذات الطابع  
 القومي ، في مختلف الاقطارات العربية ، وخاصة في الجزائر وليبيا ،  
 فان حركة البعث تشكل عاماً داخلياً في بناء هذه التجارب ، سواء  
 على الصعيد الايديولوجي ، أم على صعيد التفاعل المتبادل ، القريب  
 والبعيد ، لذلك فان الظواهر السلبية ، جنباً الى جنب مع الظواهر  
 الإيجابية ، تجد نفسها موزعة بنسب مختلفة بين فصائل الثورة

٢٤٤

العربية التي تجد دوماً في البعث الحركة القائدة ، لأنها امتلكت  
 الفكر المتجاوز لنفسه باستمرار ، السابق للمرحلة التاريخية ، القادر  
 على اضاعة المشكلات العربية وطرح الحلول الملائمة مع حاجات  
 المرحلة التاريخية . ولأن البعث قد امتلك سر النجاح المتوفّر في أية  
 حركة تاريخية ، وهو : القدرة على التجاوب مع روح الامة ، امتلك  
 التنظيم القومي ، والتخطيط القومي والنظرية العلمية الثورية ،  
 والمفهوم الحضاري المميز لحركة النهضة العربية المعاصرة ، لذلك  
 كان لا بد ان تتشكل هذه الایجابيات خبرة اساسية في تطوير حركة  
 الثورة العربية بوجه عام ، وان تكون تجربة البعث ملكاً للامة  
 العربية كلها ، بما تقدمه من ایجابيات وسلبيات ، على حد سواء .  
 فأمام ضخامة الاهداف ، وأمام عظم المؤامرة على الامة العربية

في هذه المرحلة لابد ان تبرز نوافذ تأخذ معنى السلبيات في مقياس  
 الطموح ، وفي مقياس الحركة الجدلية بين الواقع والممكن . لذلك  
 نجد ظواهر الانقسام بدأت في البعث وتعتمدت على الحركات الأخرى ،  
 كسمة من سمات مرحلة التطور في النضال العربي .

الآن حزب البعث الذي كان اول من استطاع ان يتتجاوز هذه  
 الظاهرة ، وان تكشف على ضوء الاحداث القومية حقيقة الريف  
 الذي هيمن على الواقع العربي . فلم يبق في وعي الجماهير العربية  
 غير بعث واحد ، هو المتوجه الى التحرير ، والى فلسطين ، كرمز  
 للوحدة والحرية والاشتراكية .

\* آية صلة ترون بين السياسة والثقافة؟

الصلة بين الثقافة والسياسة تطرح في واقع نظريتين متعاكستين : نظرية الواقعية الاشتراكية التي تركز على الجانب السياسي على حساب خصوصية الثقافة والفن والادب ، وهناك النظرة المثالية التي تذهب الى حد اعتبار الطلق هو الشيء الوحيد المشروع في العلاقة بينهما . وتعتبر ان في السياسة انتقاصا من حرية الثقافة ، وتحويل الثقافة الى اداة فاقدة للابداع ، تابعة وملحقة لا تستمع بآية استقلالية .

ايديولوجية البعث في نظرتها الى العلاقة بين الثقافة والسياسة تجنبت المنطقيين السابقين ، واعتبرتهما نتيجة لتطور تاريخي للمعرفة وللنضال السياسي في آن معا .

نقطة الانطلاق في ايديولوجية البعث هي في رفض الثنائية : ثنائية الثقافة والسياسة ، لأنهما كل ، والثقافة حسب هذا المنظور هي موقف نظري وعملي من الحياة . لذلك فهي ، بطبيعتها تستوعب الموقف السياسي . فالسياسة تشكل بعدا داخليا من أبعادها ، كما ان السياسة ، حسب منظور البعث ، لم تكن ابدا تعني الموقف المعنوية عن القضية الكبرى ، أي عن اساس الحياة القومية ، وعن حركة النضال القومي . لذلك ترددت في كتابات البعث عبارات تؤكد ان ما يمارسه البعث هو « رسالة » وليس « سياسة » . فهو لا يتعامل فقط مع الواقع بمعطياته المباشرة المحدودة في الزمان

والمكان ، بل يتفاعل مع حركة الواقع .. أي مع مرحلة ، تاريخية ، لها امتداد في الماضي الحضاري للامة . ولها اطلاعه على المستقبل ، ففي مقالة « عهد البطولة » كما في محاضرة « ذكرى الرسول العربي » تأكيد على ان الجيل العربي الجديد هو جيل عقيدة ورسالة ، أكثر منه جيل سياسة . والمقصود بذلك لم يكن ابدا مجرد تمييز بين التكتيك السياسي والاستراتيجية السياسية ، والعقيدة الثورية ، بل هو اكثر من ذلك ، لأن كل هذه العناصر متدرجة في تصور البعث ضمن اطار مشروع ثوري حضاري ، هو : المنظور الانبعاثي : بعث الامة العربية ، فكل سياسة لا ترتبط بهذا المشروع الحضاري تكون عملا مستهلكا ضمن اطار ظرفي ، ولمصلحة ظرفية ، سواء كانت فردية أم اجتماعية .

« فالسياسة - الرسالة » لا يمكن أن تكون منفصلة عن الثقافة ، وهي التعبير العملي التطبيقي لها .

كما ان « الثقافة - الرسالة » لا يمكن ان تتخلص وتتقوقع في قوالب نظرية مجردة بعيدة عن حركة الواقع ، بل هي الفهم العريق لقوانين هذه الحركة ، ووضع هذا الفهم في خدمة النضال من أجل تغيير هذا الواقع .

ولم يغفل البعث ، بالرغم من تأكيده على العلاقة الداخلية بين الثقافة والسياسة في المرحلة الراهنة من حياة الامة العربية ، عن ملاحظة خصوصية كل منها . فالثقافة ذات بعد داخلي ، سواء في

ال فعل على أمراض السياسة دفع بعض المثقفين إلى رد الفعل ، والى الانزواء ، وتلك حالة تعبّر عن نقص في المواجهة للمشكلة . مشكلة العلاقة بين الثقافة والسياسة .

كما ان فريقاً من المثقفين كانت ثقافته ، بالاصل ، مجردة . أي «ثقافة مجلوبة» لأنهم اتسوا إلى عالم ثقافي آخر . وتلك حالة راقت المرحلة الاستعمارية ، ومرحلة الانحطاط ، حيث كانت نظرة العربي إلى الغرب نظرة كسيحة ، مسلوبة الشخصية ، وعاجزة عن فهم أولويات الصلة بين الثقافة والحياة القومية ، أي السياسة . فكانت الثقافة بهذا الاعتبار نوعاً جديداً من الاستلاب ، ومن الاستعمار الثقافي ، ومن خلال الأزمة التي كان لا بد أن تنشأ بين هذا النموذج من المثقفين وبين الجماهير العربية بدأت ملامح الوعي الجديد الذي يدرك بأن المثقف غير المرتبط بقضية الأمة يعني نوعاً من الأمية السياسية تماماً كما يعني السياسي من أمية ثقافية عندما يكتفي بتحويل الأيديولوجية الثورية إلى مجموعة من الشعارات البرغماتية الذرائية ، ويتعامل مع الظروف الطارئة أكثر مما يتعامل مع قوانين المرحلة ومتطلبات النضال القومي ، أي عندما يصبح كالملحق المجرد ، مجرد كائن متمرّك حول ذاته ، يعتبر كل شيء آخر امتداداً لهذه الذات ، ومسرحاً للدور يلعبه المهرج على المسرح . فالسياسة والثقافة . بمنظور البعث ، هي عملية تربية تقويمية لامراض الثقافة والسياسة .

حياة الفكر أو في وعي الواقع ، هي بعد ثالث يسّر لا شعور الجماعة ، ولا شعور الفرد بقدر ما يمس شعورهما ووعيهما وبصيرتهما وشفافية علاقتها بالانسان ، وبالطبيعة الثورية ، وبحركة الجماهير .

الآن هذه «الخصوصية» للثقافة تشكل بطانة للعمل السياسي . وكذلك الامر بالنسبة للسياسة في علاقتها بالثقافة ، فخصوصيتها - أي خصوصية السياسة - انها تفاعل مباشر مع الرمان والمكان . مع هذين البعدين المباشرين للواقع ، فهي تجربة ومعاناة دائمة تخلق وحدة حية متطرفة باستمرار مع حركة الواقع . لذلك فهي مجال التأثير للانسان في المحيط ، وهي نقطة التقاء الحرية بالضرورة الثقافية ينطوي على امكانية الابداع ، كما ينطوي على احتمال الكبت والقمع والاجهاض للبعد الثقافي الكامن وراء الحياة السياسية . فسواء في الایجاب أم في السلب لا يسكن للسياسة ان تستقل ، أو تنفصل عن الثقافة .

ومن خلال هذه النظرة استطاع البعث ان يكتشف أنواعاً جديدة من الأمية في الحياة العربية . أمية الثقافة ، وأمية السياسة اللتين تعبّران عن حالة الانقسام المرضية بين كل منهما . فالابراج العاجية للمثقفين كانت دوماً ، في نظر البعث ، ملاجيء تقطّي على تناقض مصدره اما التشويه الثقافي ، أو التشويه السياسي . فرد

\* ومن هنا ما يرد في أدبيات الحزب من أن الثقافة  
اداة ثورية تعيد اليها الحياة العربية السليمة  
الصافية؟

تفهم كان المنظور الثقافي مشوهاً . فمرحلة الانحطاط هي حصيلة تاريخية لعوامل تاريخية . الا انها كواقع راهن تلعب دوراً سلبياً في عملية التطور ، لأنها تعطي فرحاً لا يدأء الامة العربية لكي يضعوا الصعوبات والعقبات في طريق النهضة العربية ، وتساهم معهم في تعزيق التجزئة وفي كبح التقدم ، وفي جعل التحديات امام الثورة العربية على مستوى لا تتساوى معه الا الثورات التاريخية الكبرى . لذلك فان الثقافة العربية ، بمنظور البعض ، يجب أن تكون من هذا المستوى التاريخي ، ويجب أن تكون عاملة في تغيير القوى التاريخية في الامة . أي القوى الثورية في الجماهير العربية ، حتى تتساوى مع اعدائها وتنتصر .

- نعم . فالثقافة بهذا المنظور تعني نضج الوعي للذات القومية ، ونضج الوعي لدور الذات الفردية في بعث الامة العربية ، لذلك لم تأخذ الثقافة في البعث معنى الاتماء الى تيار ثقافي من التيارات الثقافية المعروفة في عصرنا ، ولم تأخذ معنى العروبة السطحية والآلية الى الثقافة العربية التقليدية ، بل كانت الثقافة تعني خلقاً جديداً للفكر وللشخصية وللواقع ، على الصعيدين الفردي والاجتماعي بالنسبة لامة العربية في هذه المرحلة من التطور . فالثقافة الانبعاثية هي صعود دائم ، هي ربط للماضي بحركة الحاضر المتشدد الى المستقبل . هي ربط للكتاب بحركة الواقع . هي ربط للعوامل الاقتصادية والاجتماعية بالعوامل السايكولوجية . هي بناء حضارة جديدة من خلال الوعي بأزمة الواقع الحضاري لامة العربية . هذا الواقع الذي ليس فقط مجزءاً وخاضعاً للهيمنة الامبرialisية ومتخلفاً تحكمه الفئات الرجعية ، وتتلاعب بضميره القوى المعادية لتطوره . بل هو واقع يعبر عن مرحلة انحطاط بالنسبة لامة العربية . فهناك علاقة جديدة اذا لم

\* لا شك ان مسألة كهذا تتطلب شروطا خاصة،  
كما تتطلب نمطا خاصا من الثقافة علينا ان  
نؤسس له .

طبعا ، مثل هذه الثقافة لا يمكن أن تولد وان تنمو في ظل  
الغفوة الا على مدى من الزمن هو مدى الحتمية التاريخية، ولكننا  
في عصر تتعرض فيه الحتمية التاريخية الى عملية استلاب هي ذاتها  
فالأنظمة المعادية للتطور ولتقديم الإنسانية تسلك اليوم من المعرفة  
ومن الوسائل ما تستطيع معه ان تعيق وان تشوّه التطور .

اذا ، لابد من ان نعترف بأن مثل هذه الثقافة الانبعاثية ، انسان  
تحتاج الى عملية زرع وتعهد وعناء ، سواء على صعيد الحزب  
الثوري او على صعيد المدرسة ، او داخل الشكبة ، وفي المعامل  
والمزارع .. ولا بد من توفير المناخ الذي تنمو فيه بذور هذه  
الثقافة . فشمسها وهواؤها وانواؤها تكمن كلها في النضال .  
فالنضال هو الذي ينشئ هذه البذور ويجعلها تتفتح ، وضعف  
النضال هو الذي يسمح للاعشاب الضارة ان تنمو حولها وتقتلها .  
لذلك فان ثورية الحزب الثوري ، ونضالية المدرسة ، والمصنوع  
والمرزعة والريف .. الخ هي التي ينبغي ان تتطور ، وان تنفجر  
حتى تتسرّع عمليات النمو في بنور الثقافة الجديدة .. هذه  
البذور التي وضعتها الايديولوجية العربية الثورية في ارض الواقع  
العربي .

\* لكن .. كيف يمكن للثقافة ان تتحقق هذا ؟

ـ هناك طريق واحدة . حتى تتمكن هذه الثقافة من ان تلعب  
هذا الدور التاريخي ، هي ان تكون نابعة من قلب الواقع العربي ،  
متقدمة ، حتى الصميم ، مع حركة الجماهير العربية ، ومع تراشها  
القومي ، ومع روح العصر الذي تعيش فيه . أي ان تكون  
وحدوية خالصة من اية شائبة من شوائب التجزئة ، واشتراكية  
مبرأة من اية مصلحة تتعارض مع مصلحة الجماهير الكادحة المناضلة  
في الوطن العربي ، ومؤمنة بالحرية ، أي بالانسان وقيمة الانسان  
وحضارة الانسان . وبأن علاقة الانسان بالطبيعة وبالمجتمع وبذاته  
هي جزء من عملية التطور الموضوعي لlama العربية ، وللعالم ككل .  
وهي ، أخيرا : الثقافة الوحدوية الاشتراكية المتحركة التي تنظر الى  
تجربة الانبعاث القومي في المرحلة الراهنة من تاريخ العالم على أنها  
جزء لا يتجزأ من مسيرة الحضارات الكبرى في العالم ، ودرجة من  
درجات سلم القيم التي كانت البشرية وما تزال تتطلع الى ارتقاءها  
من خلال ازمة الحضارة المعاصرة .

\* تقرر أدبيات الحزب ، كذلك ، ان الفن والفكر  
هما من الوسائل التي يجدد بها المرء فتوة  
النفس ، ويبقى على انسانيته سليمة . فكيف  
يمكن ان يتتحقق هذا ، برأيكم ؟ وعلى أي نحو  
ترون الصلة بين الفن والفكر ؟

- الفكر ، في منظور البعض ، قوة تاريخية .. قوة لا تقدر ،  
سواء من حيث فعل الفكر في العملية التاريخية وفي تزويد الجماهير  
والطلائع المناضلة بدليل نظري وبيصيرة تستوعب المرحلة التاريخية ،  
او من حيث علاقة الفكر ببناء الشخصية الداخلية ..

ونستطيع أن نضيف إلى أهمية الفكر ودور الفكر أيضاً أهمية  
الفن ودوره كقوة فاعلة في الابداع الفكري ذاته ، وفي تزويد الطاقة  
النفسية والروحية للإنسان المناضل بشحنات ايجابية خلاقة .

وعلى خلاف ما يدعى « جان بول سارتر » بأن الفن لا يبني ،  
ولا يقول شيئاً ، فان الفن ، وخاصة في الحالات التي تكون فيها  
المعاناة ، النظرية والعملية ، مخاضاً لولادة مجتمع جديد ، ولبناء  
شخصية جديدة . فالفن في مثل هذه الحالة يقول أشياء كثيرة ، لانه  
قوة متفاعلة ، ليس مع نفسية الفنان وتجرياته النظرية ، ولا شعوره  
حسب ، بل هو قوة متفاعلة مع جوهر الشخصية الفردية  
والاجتماعية . لذلك فان حزب البعد العربي الاشتراكي اتبه ،  
منذ البدء ، واكدا على جدلية العلاقة بين المعاناة الفكرية والقضائية ..

ومن الطبيعي ان يكون هذا النضال هو من نوع الفكرة ..  
أي من طبيعتها نضالاً قومياً اشتراكيَا تحررياً لا يتوقف عند حدود  
الاقطار التي رسمتها التجزئة ، ولا عند حدود المصالح التي تخلق  
الصراع الطبقي ، ولا عند عنبة التخلف الذي خلفته عهود الانحطاط ،  
ولا عند حالة الهامشية التاريخية التي بقيت الامة العربية تعانيها  
منذ القرن الثالث عشر .. بل هي في تحطيم ذلك كلّه ، وفي تفجير  
الحدود وتحطيم المصالح والحالات السلبية الموروثة القائمة في  
الواقع العربي الراهن ، والتي تعطي التحالف الامبريالي الصهيوني  
الرجعي كل الفرص لضرب مكاسب النضال العربي وحركة الثورة  
العربية .

ان اقتصاد الحرب ، ومدرسة الحرب ، وثكنة الحرب هي  
المداخل الطبيعية لتحقيق ثقافة ابتعاثية .. أي ثقافة الحرب على  
التجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي وعلى اعداء النهضة العربية ،  
والمرحلة العربية الراهنة ليست الا مخاضاً لولادة هذا  
المستوى ، وليس تاريخ ثلث قرن من نشوء البعد الا عملاً تمهيدياً  
لولادة هذه الثقافة العربية الثورية المقاتلة من أجل الوحدة  
والحرية والاشراكية .

المكاتب .. لم ينشأ نشأة اكاديمية ، بل نشأ من خلال المعاشرة والصراع ، وكان دوماً يكتشف أفكاره عبر معاركه .

أما الحقيقة الثانية فهي أن فكر البعث قد انطوى على بعدين اساسيين آخرين هما : البعد الفني ، والبعد الخلقي .. لأنه تصدى للواقع العربي من خلال تصور شامل لمرحلة الانحطاط العربية .. فكان تصوره لنفهم النهضة العربية تصوراً حضارياً .. أي أن الثورة العربية هي بحد ذاتها عملية تقويم لاعوجاج وتصحيح لتشويه بلغاً حد الخط المصيري على مستقبل الأمة العربية ..

اذن ، تقويم الاعوجاج يعني أن مفهوم الثورة هنا هو مفهوم فني وخلقي .. فالنظرة الجمالية ، والنظرية القيمية إلى واقع الأمة العربية الراهن تستوجب الثورة .. والتجزئة تتفرض الوحدة كتصحيح لتشويه حل بالأمة العربية .. كما تتفرض تناقضات التخلف والمهيمنة الاستعمارية والاستغلال الطبقي أهداف الحرية والاشتراكية ، كأهداف وحيدة يتم من خلالها استعادة التكامل وتحقيق الكمال لنمو الشخصية العربية وتطوير المجتمع العربي باتجاه حضاري إنساني ..

— وأخيراً يمكن أن نقول بأن لا يمكن تصور دور عالمي الفكر والفن بمعزل عن العوامل الأساسية الأخرى ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ..

بين تجربة الفرد وتجربة الأمة .. لذلك كان « فكر البعث » نوعاً جديداً أصلياً من الفكر يمكن أن يطلق عليه صفة « الفكر المناضل » ..

كما لم يكن غريباً أن تتحقق داخل عبقرية مؤسس البعث الاستاذ ميشيل عفلق هذه العلاقة الجدلية بين الفكر والفن والارادة والتزعة الحضارية وحب الجماهير ، والنظرة الحضارية ، لأن حركة البعث كانت المهد الأول لنشأة هذه الجدلية بين الفكر والفن في الحياة النضالية العربية .. وفي امتداد هذا الاتباع إلى الجيل العربي الجديد ، وإلى الأمة العربية تحقق ، لأول مرة في حياة العرب المعاصرة ، هذا الرابط الجدلبي بين هاتين القوتين التاريخيتين : الفكر والفن ، لأنهما ارتبطا بحركة التاريخ العربي المعاصر ..

وعلى ضوء ذلك كله ، نستطيع أن تبين حققتين :

— الأولى ، هي أن الفكر والفن ليسا محرابين يعود اليهما المناضل عندما يتتابع التعب أو عندما يخشى على نفسه من الفرق في التجربة والضياع في جزئياتها ، والهبوط إلى قيعانها الدنيا .. ففشل هذه النظرة ذات الألوان المثالية والبرجوازية بعيدة عن منظور البعث .. لأن الجيل العربي نفسه ، كما تصوره البعث ، هو اشعاع لفكرته ، ووحدة الفكر والمارسة النضالية هي المنطلق الأول لمنهج فكر العزب .. لذلك لم ينشأ فكر البعث بين الجدران الأربع ووراء

\* في الاخير .. اود ان اسال عن فهم «البعث»  
لمسألة الالتزام في الادب والفن .. خصوصا  
وان هناك تيارات اخرى تطرح هذا المفهوم ،  
كالوجودية والماركسية ..

— النظرة الوجودية انطلقت من عكس المقولات التي يجعل  
«الموضوعي» هو الهدف ، وجعلت من هدف «الحرية» شيئاً  
ذاتياً وداخلياً وفردياً الى حد بعيد .. حتى بدت الوجودية كما لو  
أنها النقيض للفكر الماركسي ..  
ولما كانت نشأة الوجودية مترتبة برد فعل على عالم الحرب

العالمية الثانية ، بصورة رئيسية ، لذلك كان لابد ان تتطور النظرة  
الوجودية الى الحرية والالتزام بحيث تستوعب الاطمار  
الاجتماعي وبعد الاجتماعي لهذه العلاقة ..

ييد ان محور هذه النظرة بقى هو «الفرد» .. وبقى هي  
«الذاتية» ، وعالم الفنان الداخلي ، والانتصار لهذا العالم في وجه  
التحديات التي تواجه ضمير البشر في المرحلة الراهنة من التاريخ ..  
والفكر الاشتراكي ، من طرف آخر ، هو ذاته ، أيضاً ، لم يشد  
عن القاعدة .. أي عن سنن التطور .. فلم يكتف بواقعية  
اشتراكية ، وبالتركيز على ما هو موضوعي وما هو اجتماعي ،  
من خلال منظار تبسيط فقير المحتوى ، مدير اظهاره ومتجاهلاً لعالم  
الفنان الداخلي ولمعاناته الذاتية ، ولا اختياراته الحرة ..

الا انتا ، في نفس الوقت ، لا تستطيع ان تتصور هذه العلاقة  
لا من خلال منظار مثالي ، ولا من خلال المادية الجدلية .. لأنهما  
انطلقا ، بالاصل ، من مفهوم «الثنائية» المعتمدة على مفهوم  
فلسفي ما ورأى لهذه العلاقة .. ومفهوم البعث لهذه العلاقة هو من  
طراز آخر مستمد من اعتماده على منهج علمي جدلی تاریخي یعتمد  
حصيلة العلوم الاجتماعية والنفسية المعاصرة ..

وعلى هذا الاساس فان جدلية العلاقة بين شبكة العوامل  
المؤثرة في التكوين القومي وفي التغيير البنوي والوظيفي للواقع  
العربي تعتمد على ملاحظة العلاقة بين ثلاثة انماط من التركيبات  
والوظائف ، هي :

- ١ - التركيب الاقتصادي - الاجتماعي ..
- ٢ - التركيب الاجتماعي - التقني (سوسيو - تكنيك) ..
- ٣ - التركيب الاجتماعي - الثقافي ..

لذلك ، حسب منظور البعث ، لا يمكن تبسيط هذه العلاقة  
وقبول التفسيرات التي توحي بعلاقة ميكانيكية ، او جدلية جزئية  
بين الاقتصاد والشعر .. بين المجتمع والفن .. بين الفكر والمجتمع  
.. بين الفكر والانسان .. وانما استيعاب الابعاد المتعددة لهذه  
العلاقة ، ووحدة هذه الابعاد هو المدخل الى نظرة البعث للفكر  
والفن في علاقتهما بالانسان المناضل ، وبالامة المتساولة بالفرد  
وبالجماهير .. بالامة والانسانية ..

شروط وجود هذا الفنان . الشرط الانساني لوجوده .. والعلاقة الجدلية التي تحكم معايشه مع الواقع الذي يعيش فيه .

وكما ان « سocrates » في القديم قد ربط ربطا جديلا بين المعرفة والفضيلة ، كذلك فان « البعث » ربط وعي الفنان بحقيقة وجوده . لأن الفنان هو أكثر ابناء المجتمع تحسسا بمحيطه .. ولا يمكن الا في حالة التشويه الثقافي والاستلباث الثقافي الكاملي ، ان تتصور فنانا عربيا حقيقيا لا يستوعب بفكره وضميره قضية الامة وما تتعرض له من تحديات مصرية . فالفنان الحقيقي هو انسان جاد ، يتصل بالوجود اتصالا عميقا ، ولا يمكن ان يكون منه لهم وعبثا وتسلية وان كان العمل الجدي لا يخلو من بعض هذا ، الا ان الفرق واضح بين ان يكون الفنان سجين ذاته ، او ان يكون سجين الالتزام الاجتماعي القسري ، وبين ان يكون متحررا من السجينين معا . يحرر ذاته من خلال النضال من اجل تحرير الامة بكمالها من هذين السجينين القاتلين لمعنى الاصالة ولمعنى الحضارة .

فالالتزام ، اذن ، في منظور البعث ، يعني اكتشافا مبدعا وداخليا لهذه العلاقة بين الانسان العربي والنهاية العربية .. بدون ذلك يرتد الالتزام الى رضوخ وخنوع واستسلام لقدر غاشم .. كما ترتد حرية الفنان الى قطيعة بين الفنان وامته ، وتصبح اغترابا وغربة وتشويفها وانحرافا لا يقل وطأة وشدة وشدة عن الموقف التقىض

وهذا التطور المردوج في التفكير الوجودي وفي التفكير الماركسي على حد سواء هو الذي جعل « سارتر » يقترب من الاحزاب الشيوعية ، ويعامل ويتفاعل مع العركات الاشتراكية ، ولو تفاعلا سطحيا .. كما ان « سارتر » بالذات لم يعد موضوع حرب واتهام ، كما كان الامر في البداية ..

ونحن من زاوية منظور البعث ننظر الى هذا التطور على انه ظاهرة طبيعية ، لأن الفكر العلمي الثوري يزداد تمثلا لمعطيات التطور التاريخي المتسارع في عصرنا ، ويزداد مراسا وخبرة ، وتنسج آفاقه فيفلت من قيود القوالب النظرية الجامدة ، ويتحرر من الافكار المسبقة التي ضرر فيها التفاعل مع الواقع الموضوعي ومع العوامل الذاتية في آن معا .

ولأن فكر البعث قد انطلق بالاصل انطلاقا حرة من كل قيد يسكن ان يعيق تفاعله مع الحقائق الشخصية ، ومع الدوافع العميقة الشعورية والا شعورية ، فإن نظرته الى الالتزام استطاعت ان تتجو من منزلقات التفكير المجرد ، ومن ردود الفعل ، ومن القوالب فكان منسجما مع منهجه العلمي الجدلية التاريخي في النظر الى مسألة الالتزام .. فهو :

لم يعزل هذه المسألة عن المكان والزمان اللذين تطرح فيهما .. اي الالتزام بماذا ؟ والتزامه من ؟ الالتزام الفنان العربي يعني ان نفهم

المتشل بغير القناعة والانطباع الذاتي ومكتنوات الضمير . ففي  
حالة الامة العربية لا يمكن تصور اكثرا من ثلاثة مواقف يشكل  
الالتزام واحدا منها :

- ١ - الليبرالية المشوهة التي تصل الى حدود الاغتراب الثقافي  
والتخلي عن القضية القومية وفقدان الشعور بالاتتماء الى  
الامة .. وتلك علة يصاب بها الفنان بفقر الدم .
- ٢ - الاستسلام للقسر والانضواء تحت خيمة الواقع ، والاتهازية  
الواقعية ، وفقدان الحرية .
- ٣ - اما الموقف الثالث ، فهو الالتزام الذي يكون نتيجة طبيعية  
لاكتشاف الفنان لذاته عبر اكتشاف حقيقة الامة ، ووضع  
الحرية على طريق الثورة الداخلية ، والثورة القومية ..  
والتصدي للواقع من خلال التصميم على تغيير الواقع .

## المحتويات

البعث وحوار الحضارات .. .. .. .. ..	٥
حول المنظور الحضاري للبعث .. .. .. .. ..	٢٩
الثقافة والشخصية العربية .. .. .. .. ..	٥١
الفلسفة التربوية والثقافة العربية .. .. .. .. ..	١١٥
الثورة الثقافية .. .. .. .. ..	١٤٣

المؤلفات الأخرى للمؤلف :

- تيار الاصلاحات التربوية بعد الحرب العالمية ( باللغة الفرنسية ) •
- تطور الايديولوجية العربية الثورية ( الفكر القومي ) •
- تطور الفكر الماركسي - عرض ونقد •
- الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية •
- في السياسة العربية الثورية •
- الفكر العربي الثوري امام تحديات المرحلة •
- ايديولوجيات اليسار الجديد في العالم •
- دراسات في الفكر الاشتراكي •
- تطور الفكر الاشتراكي للبعث •
- كتابات فلسطينية •
- نظارات في الملامح الاساسية للمرحلة الراهنة •
- الوطن العربي والفاشية الجديدة •
- ٦ تشرين الاول بين التسوية والتحرير •
- من قضايا الثورة والانسان العربي •
- الاشتراكية في الوطن العربي •
- حركة التحرر العربي امام الفاشية ( باللغة الفرنسية ) •
- في القومية والتربية والثورة •
- مقدمة في دراسة المجتمع العربي •

تصميم الغلاف : راجحة القدس

الخطوط : حميد السعدي

الاشراف الفني : نجم عبدالله كاظم

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد  
٣٨١ لسنة ١٩٧٩

٦٦٦ - ٢٠٢٠



AL-TURĀTH  
AL-SHA'BĪ

58

1981

دار الحرية للطباعة بغداد  
١٤٧٣ م - ١٢٩٩ هـ

م ١٢٩٩ - هـ ١٤٧٣

دار الحرية للطباعة بغداد

الجمهوريّة العراقيّة  
وزارة الثقافة والفنون  
دار الرشيد للنشر  
١٩٧٩

توزيع الدار الوطنيّة للتوزيع والاعمال  
دار الحريّة لطبعات - بغداد